دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

دور رحلة الأسر في تأصيل مقاربات تفكير التفكير التاريخي وآلياتيهما الفلسفية عند مارمول كاربخال والحسن الوزان أنموذجًا

محمد بومدين
أستاذ التعليم المتوسط ـ اجتماعيات
باحث دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث
جامعة أبو بكر بلقايد – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

أفرز الصراع الأوربي ـ الأوربي، والأوربي ـ العثماني، في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ظاهرة التِّرحال وركوب هول صعاب الرِّحلة الرسمية التي دُونت مشاهداتها المباشرة أم غير المباشرة في شكل "تقارير رِحلية"، عُرفت بـ: "الرِّحلة السفارية"، أو "الرحلة الدبلوماسية" التي طَبعت وتَطبعت بمستجدات الفترة الانتقالية للعصر الحديث مع بداية القرن (١٠هـ/١٦م)، إلى غاية الخمسينيات منه. فاشتهر على ضوء ذلك مجموعة من المبعوثين السياسيين من الجانبين، الأوربي والشمال إفريقي، في إطار البحث عن صورولوجيا مختلف نواحي الحياة التي كان يعيشها الطرفين، مع امتزاجها بأهداف شخصية في بعض جوانبها، ودواعي سياسية، ورغبات عسكرية، مُسَيَّرة في الكثير من جوانبها من قبل السلطة الدِينية والدُنيوية الحاكمة آنذاك، والتي رُسِمت على اثرها طريق الرِّحلة وخلفياتها، واستحضرت أساليبها ومناهجها الفلسفية في التدوين التاريخي الذي عبرت في خِضمه الكثير من الشخصيات الرِّحلية، تاريخانية وجغرافية مميزة لتاريخ الطرف الآخر في ظل حركة الاستشراق الذي بدأت ملامحه تظهر بشكل جلي مع المدارس الأوربية وعلى رأسها المدرسة الاسبانية ذات الخلفيات الاستعمارية وقتذاك. لقد نالت شمال إفريقيا اهتمام الرحالة الإسبان على وجه التحديد، من خلال الاطلاع على الإسهامات الفكرية والأدبية لعلماء وأعلام شمال إفريقيا. حيث حاول هؤلاء الرحالة في إطار "رِحلة الأسر" ومفرزاتها الإنسانية والاجتماعية والثقافية، على غرار الرحالة العسكري "مارمول كاربخال" الذي استمد الهيكل العام لمؤلفه "إفريقيا" ومختلف أشكال الكتابة التاريخية من تأليف العالم "ليون الإفريقي"، وكتابه "وصف إفريقيا"، وفق نسق تاريخي ونمطية فلسفية في أسس التأريخ تعتمد على الاقتباس من محتويات الوعاء المعلوماتي لكتاب ليون الإفريقي. وضمن حتمية السيطرة على مقدرات الآخر، برزت مستويات النقد الفلسفي والتحييل التاريخي عند "مارمول كاربخال" وهو يسعى لإعادة صناعة تاريخ مُمَنهج من منظور أوربي صليبي يحول بواسطته رموز الحوادث الواقعية إلى خطاب نفسي وإيديولوجي، يختزل به كل الأبعاد التي قامت عليها المعالم الاجتماعية والثقافية والسياسية والعسكرية... للمجتمعات الشمال إفريقية، في ظل تجربته كرحالة أسير يشبه إلى حد بعيد "ليون الإفريقي" ورِحلاته بين ضفتي البحر المتوسط.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	٠٢	مارس	٢٠٢٢
تاريخ قبـول النشـر:	١٩	أبريل	٢٠٢٢

كلمات مفتاحية:

الكتابة التاريخية؛ الحسن الوزان؛ وصف إفريقيا؛ العصر الحديث؛ فلسفة التاريخ

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2022.286098

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

محمد بومدين."دور رحلة الأسر في تأصيل مقاربات تفكير التفكير التاريخي وآلياتيهما الفلسفية عند مارمول كاربخال والحسن الوزان أنموذجا".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد السادس والخمسون؛ يونيو ٢٠٢٢. ص ١٨٨ – ٢٠٦.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: boumedinem999@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخِية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

اختلفت وتشابهت أهداف الرِّحلات وخلفياتها، والتي أضحت من بينها الرحلة الدبلوماسية الممزوجة بالمهمات الرسمية طيلة القرن (١٠ هـ/ ١٦م)، تأخذ حيزًا وافرًا في استريوغرافية المغرب العربي الحديث، من خلال مجموعة من الرحالة، سواء من أبناء المنطقة، أم الأجانب منهم، الّذين دخلوها ووصفوها، وأشاروا لمعطيات مهمة عنها، كانت ولازالت تعتبر من المصادر المهمة المرجوع إليها من قبل الباحثين الأكاديميين، بغية تركيب السياق التاريخي وبعثه في حلَّة جديدة تتسم بالتكامل المعرفي والمنهجي.

وفي هذه الساحة العامة للرِّحلات وأنماطها، تندرج رحلة "الحسن الوزان" الموسومة بـ: "وصف إفريقيا" التي كتبها بطلب من البابا "ليون العاشر" وهو في الأسر في البندقية، ضَمَنَها بوصف مميز عن اثنوغرافية المجتمع الشمال إفريقي آنذاك، حتى أصبحت تلك الرِحلة محطة أنظار واستكشاف من قبل الأدباء والمثقفين الأوربيين منذ القرن (١٠هـ/١٦م)، أمثال "وليام شكسبير" الذي أدرج رحلة الوزان في سلسلة مسرحياته "هملت" في باب شخصية "أوتلو" المغامر، ولم تنفك حتى أقلام العسكريين الجواسيس عن تتبع مضمون هذه الرِّحلة والسير عليها في وصف وتأريخ منطقة شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء، على غرار لويس دل مارمول كاربخال، صاحب كتاب "إفريقيا" وأحد الرحَّالة الإسبان الّذي جابوا وصالوا تلك المناطق المذكورة مع بداية العصر الحديث، في رِحلة تحتل هي الأخرى مكانة هامه في حقل هذا النوع من المصادر، بفضل المادة المهمة التي وردت فيها، والمعلومات الغزيرة الّتي قدمها صاحبها من خلال اعتماده بشكل كبير على المعطيات التاريخية التي سجلها قبله "الحسن الوزان" في مؤلفه المذكور، حتى أنه قد اقتفى اثره حرفًا بحرف، ما يجعل مضمون الرحلتين يتشابه في شكل نسخة طبق الأصل، جعلت الملاحظين في حقل الاستشراق الإسباني، والمُتخصِّصين في فلسفات الكتابة التاريخية، يجزمون على وقوع سرقة علمية على المستويين، المنهجي والمعرفي، تعود إلى ما قبل بدايات التأليف لـ: "إفريقيا" مع سبعينيات القرن (١٠هـ/١٦م)، لما كان مارمول كاربخال يقوم بإعداد "تقرير" عن رِحلاته في شمال إفريقيا للتقرب من الملك "فليب الثاني".

إن تمثلات النقل التاريخي بمختلف آلياته المنهجية من استنباط أو استنتاج...، أو المعرفية من اقتباس وانتحال ...، كلها صفات تاريخانية وسمت مجالات الاستشراق العالمي في دراساته للطرف الآخر، من دون التوثيق له، أو الإحالة لمؤلفاته، والتي برز منها قلم المدرسة الإسبانية بشكل جلي على ما نلتمسه في نموذج "مارمول كاربخال" الذي وقع في يده تأليف "وصف إفريقيا" للحسن الوزان وهذا الأخير في الأسر بالبندقية على ما يبدو، خاصة إذا علمنا أن مارمول قد أطلق سراحه من الأسر بشمال إفريقيا سنة ١٥٥٠م، وأصبح متواجدًا في باليرمو الإيطالية منذ ذلك التاريخ وهو منخرط في جيش "الأمبيريالين٤ /impériales4" التابع للملكية الإسبانية هناك، في ظرفية تاريخية قلقة، جعلت الساسة الأوربيين وفي مقدمتهم السلطة الدينية المتمثلة في "البابا" والسلطة الدنيوية ــ الزمنية ــ المتمثلة في الإمبراطور الرومانية المقدسة الغربية بزعامة "إسبانيا"، أقول؛ تقومان بالتعبئة الاجتماعية والعسكرية وحتى الثقافية والفكرية في سبيل مواجهة الإمبراطورية العثمانية والسيطرة على المجال الحيوي في مختلف منافذ البحر الأبيض المتوسط وقتذاك. وهو ما جعل رجال الدين العسكريين الأكثر فاعلية في مثل هذه الأوقات الصعبة، واستريوغرافياتهم المُمَنهجة التي غدت أحد أهم الأدوات الاستعمارية لفرض "الأنا" المتسلط من جهة، وضرورة إعادة صياغة تاريخ يخدم الطرف الأوربي من جهة أخرى.

إن القراءة الأولية لتاريخانية الرحالتين الحسن الوزان ومارمول كاربخال، تحيلنا إلى استكشاف طبيعة الرِّحلات الاثنوغرافية المُحلِّلة لطَبيعَة عيش السكان ومدى ارتباطهم بمؤثرات المكان والزمان، والّذي اهتما به كلا الرحالتين كثيرًا، سواء بصيغة التصريح في الوصف تارةً أو بالتضمين لذلك تارةً أخرى. وبأساليب متنوعة وهادفة حسب خاصية الرحلة والخلفيات المُسيرة لها، انفردت الرحلتين بمظهر التشابه الكبير في مناهج التأليف وأساليب التدوين التاريخي والجغرافي، مع بعض الخصائص النسبية التي اختص بها كل واحد منهما تبعًا لطبيعة تكوينه الدِّيني والدُنيوي.

ومن هنا تتشكل منطلقات إشكاليتنا، من منظور ملامح التأثير والتأثر بين تاريخانية مارمول كاربخال والحسن الوزان في مقاربة مقارنة تبحث في بيوغرافية الرحالتين وتداعياتها على طريقة الكتابة التاريخية وفلسفاتها، في طرح منهجي يهدف إلى الغوص في مخيال كل واحد منهما على أساس مناهج مدرسة "ما وراء المعرفة" التي تنبش في مجموعة من الآليات الفلسفية في صناعة التاريخ من منطلق "تفكير التفكير"، والتي تؤسس فرضياتها البحثية على ملمح ما وراء التأليف، وسياقات ما وراء الحدث التاريخي، والمؤشرات الاجتماعية والمعايير

الثقافية لما وراء المشهد العالم للمجتمعات والأمم على اختلاف مشاربها... انطلاقًا من اخضاع المادة المعرفية والمنهجية للرحلتين المذكورتين إلى ميزان النقد التاريخي الفلسفي، والقفز إلى مناهج "التفكير في التفكير" بغية الوقوف على الأسباب والظروف الحقيقية التي كانت وراء وقوع الحوادث التاريخية ومجمل المعالم التي كانت تحاول إرساء سيرورة تاريخية جديدة في الحوض الغربي للمتوسط، والاقتراب أكثر من الفاعلين التاريخيين وتأثيراتهم السياسية والاجتماعية والعسكرية وحتى الثقافية في الزمان والمكان.

وتماشيًا مع ما تم ذكره، آثرنا اعتماد منهجية فلسفية تاريخية نحاول من خلالها تتبع الآثار العلمية والفكرية لهذين الشخصيتين التاريخيتين من جهة، والكشف والإبانة عما دوناه من معلومات تاريخية هامة عن مناطق وأقاليم وقرى ومداشر شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء، من خلال تحرِّي مساراتهم العلمية وجذورها، ومكوناتهم الاجتماعية، لاستجلاء خلفياتها الثقافية ومنطلقاتها الفكرية، والمؤثرات السياسية والعسكرية المتأثرين بها وقتذاك، بتقديم ترجمة مقارنة معتمدة على الكرونولوجيا التاريخية في معالجة الشخصيات، والذي تبدأ من ميلاد الشخصية التاريخية إلى غاية وفاتها، مرورًا بإنجازاتها الحياتية، في وضعية طلبية تفرض علينا التماس الإجابة على مجموعة من الأسئلة التي تسمح لنا بإدراج التفسيرات والتأويلات الممكنة من أصول النقد الفلسفي، وآليات التخييل التاريخي التي من شئنها إماطة الأستار عن طبيعة الفلسفة التاريخية ومختلف أنساقها عند الرحالتين، والمنضوية تحت مناهج مدرسة السلوك الإنساني وضوابطه " فيما وراء المعرفة التاريخية"، مرتكزين في ذلك على المنهج التاريخي التحليلي المقارن، في ورقة بحثية تركز في محورها الأول على الخصائص العامة للصورولوجيا العامة للكتابة التاريخية وفلسفاتها خلال العصر الحديث، وأهم الضوابط والأسس التي وجب التقيد بها في مقام نقد وإبداء التفكير في التفكير لما يخص النصوص التاريخية من قبل المؤرخ الفيلسوف. أما المحور الثاني فقد اختص اختصاصًا دقيقًا في مقارنة السيرة والمسار المتعلقين بكل من "الحسن الوزان" و"مارمول كاربخال"، لتتبع طبيعة الرِّحلة عند الرحالتين وخلفياتها الفلسفية من خلال مقارنتها ببعضها البعض، للوصول إلى المحور الثالث الذي ارتأينا أن يكون مُكملاً للثاني ومفصلاً له، عبر الولوج إلى فلسفة الكتابة التاريخية والجغرافية وطريقتيهما، لاستقصاء البحث في أساليبها، ومناهجها، وفلسفاتها الأستريوغرافية التي نهجها كل من الرحالتين.

أولاً: الخصائص العامة لأستريوغرافية الكتابة التاريخية خلال العصر الحديث

١/١-مفهوم فلسفة التاريخ

يصعب وضع تعريف دقيق لما تعنيه عبارة "فلسفة التاريخ" تحديدًا، فإذا كان التاريخ بمفهومه الكلاسيكي يعنى بدراسة أحوال الناس في الماضي، فإن كل مؤرخ يميل إلى تناول أحداث ووقائع الماضي لابد وأن يستند إلى وثائق مختلفة ومنهج محدد، لكنه لا يستطيع بالمقابل أن يتجرد بشكل نهائي من أفكاره الفلسفية وتصوراته الإيديولوجية، لذلك فمن الطبيعي أن يكون لهذه الأفكار المسبقة أثرها الكبير في رؤيته التاريخية[١].

استخدم تعبير "فلسفة التاريخ" لأول مرة في القرن (١٢هـ/١٨م)، الفيلسوف الفرنسي "فولتير"، غير أن التفلسف في التاريخ بدأ بالفعل قبل ابتكار هذا التعبير بمدة طويلة[٢]. فجذور هذا النوع من التفسير للتاريخ يعود إلى المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون الذي وسمه البعض بأنه "أب التاريخ الحقيقي"، ونعته البعض الآخر دون مبالغة بـ: "مؤسس علم التاريخ"[٣].

٢/١-الضوابط العامة لفلسفة التاريخ

تدافع فلسفة التاريخ عن عملية التأريخ باعتبارها علم الوقائع والأحداث، فالتاريخ لا يسير اعتباطًا وإنما حسب خطوط مرسومة، وهذه الخطوط هي المنطق الذي يربط بين الحوادث والوقائع التاريخية، أي: "فلسفة تمتزج بالتاريخ وتصبغه بنظرتها". إن فلسفة التاريخ تسير إلى معرفة الروابط التي توجد بين الأحداث والوقائع المتفرقة، وغايتها وضع اليد على المجموعات النمطية من المؤثرات التي تتحكم في سير الحركة التاريخية، وهدفها استخلاص السنن والنواميس التي تحكمها، وذلك بهدف تفسير القوانين التي تتحكم في صناعة التاريخ بأحداثه المتعددة والمتداخلة[٤]. وتبحث فلسفة التاريخ في الوقائع التاريخية، فتسعى لاكتشاف العوامل الأساسية التي تؤثر في سير هذه الوقائع، وتعمل على استنباط الأحكام العامة التي تتطور بموجبها الدول والحضارات، أي تهتم بتفسير وفهم مجرى التاريخ في ضوء نظرية فلسفية معينة، وتضع لعلم التاريخ أساسًا فلسفيًا بحيث لا يبقى التاريخ مجرد سرد وتفسير للوقائع فقط، وإنما التعمق في دراسة الأسباب والقوانين الثابتة التي تتخطى الزمان والمكان[٥]. فمهمة فلسفة التاريخ ترتقي إلى مهمة الكشف والتفسير الدقيق لتاريخ البشرية وفق

المصادر والوثائق التاريخية ككتب "التاريخ العام" أو "كتب الرحلات" ...، اعتمادًا على مفاهيم مثل القانون والحتمية وغيرها.

وتستند فلسفة التاريخ إلى فكرة وجود قوانين تتحكم في مصير الحركة التاريخية، وهذه القوانين يجب اكتشافها والتعامل معها، ومن هذا المنظور يصبح التفسير التاريخي للحوادث اجتهادًا بشريًا يحتمل الخطأ والصواب، لأنه يدخل ضمن ميدان الدراسات النظرية[٦].

١/٣-تطور مناهج وأسس فلسفة التاريخ

لقد تطور مفهوم فلسفة التاريخ في الدراسات الحديثة وخاصة المعاصرة منها، فأصبح يشير إلى جانبين مختلفين من جوانب دراسة التاريخ. الجانب الأول منه دراسة للمناهج والطرق والأساليب المستخدمة للتحقق من الوقائع التاريخية. هذا النوع يطلق عليه "الفلسفة النقدية للتاريخ". أما الجانب الثاني فيتمثل في تقديم وجهة نظر عن مسار التاريخ بشكل شمولي وهو ما يسمى "الفلسفة التأملية للتاريخ" التي تعدي القدرة على اكتشاف القوانين المتحكمة في سير الأحداث[٧].

هذه النظرة التأملية تمثل الدراسة التي يقوم بها فيلسوف التاريخ للعصور السالفة بهدف استخلاص القوانين التي تحكم سير الحياة والإنسان والمجتمع والدولة والحضارة ككل. فلسفة التاريخ إذن هي نوع من المعرفة الاجتماعية التي تبحث في الاتجاه العام لسير البشرية، وبهذا تكون المهمة الأساسية الأولى لفلسفة التاريخ إبراز النظريات التي تقوم بتأويل الأحداث التاريخية وكذا الكشف عن القوانين التي تتحكم فيها[٨]. اعتمادًا على التفكير الناقد للحوادث التاريخية وصُناعها.

١/٤-التفكير الناقد

كانت محاولة "جون ديوي" من أول المحاولات التي سلطت الضوء على مفاهيم "التفكير الناقد" حيث أنه افترض أن التفكير الناقد هو: "تفكير انعكاسي يرتبط بالمثابرة، وهو تفكير يتسم بالحذر يدعم الاستنتاج أرضيته ويشمل التقييم ومدى الثقة بالفرضيات ويقود إلى حكم مدعوم بالعمل". ويعرف على أنه: "حكم منظم ذاتي يهدف إلى التفسير، والتحليل، والتقييم، والاستنتاج إضافة إلى أنه يهتم بشرح الاعتبارات المتعلقة بالأدلة والمفاهيم والطرق والبراهين". وقد. وضعت جمعية علم النفس الأمريكية تعريفًا للتفكير الناقد والذي هو "عملية تؤدي إلى اتخاذ أحكام ذاتية بناء على مهارات الاستقراء، والاستنتاج، والتوجه والميل كالنزعة إلى البحث عن المعرفة والأدلة". ومن خلال الكثير من التعريفات يمكن الإشارة إلى أن التفكير الناقد هو تفكير تأملي محكوم بقواعد "ما وراء المعرفة"[٩].

١/٥-التفكير ما وراء المعرفة

تشهد الساحة الثقافية والفلسفية في وقتنا الحاضر عملية ضخ دماء جديدة في حقل الأستغرافيا من خلال تجاوز مقاربات التاريخ الجديد وتأثيرات التيار البنيوي، من هذا المنطلق ارتأينا التركيز على هذه التجربة المتميزة في الكتابة التاريخية، عبر تتبع دقيق لخصائصها، مع الانفتاح على تأثيرات التيارات الألمانية ومدارسها، وفي مقدمتها مدرسة "تفكير التفكير" أو ما اصطلح على تسميتها بـ: "ما وراء المعرفة التاريخية".

يُعَدّ مفهوم "ما وراء المعرفة" أحد مكونات النظرية المعرفية الهامة في علم النفس المعرفي، وتعود أصوله إلى علم النفس التاريخي، وأن أول من أشار إليه "جون ديوي" حينما وصف العمليات ما وراء المعرفية التي تحتوي على التأمل الذاتي الشعوري العميق للمؤرخ في ملابسات وقوع الحوادث التاريخية[١٠]. فالمؤرخ في نظر الفلاسفة مثل "ايمانويل لوروا لادوري" مثله مثل عامل المناجم الذي يعمل في عمق الأرض، إنه يستخرج المعطيات إلى السطح ليستغلها مختص آخر في أي علم من العلوم[١١]. وفي أي مجال من مجالات الكتابات التاريخية، خاصة منها الكتابات الرِّحلية.

١/٦-أدب الرِّحلات وأهميته في الكتابة التاريخية

تُعَدّ كتب الرِّحلة أو أدب الرِّحلات مصدرًا من أهم المصادر العلمية في عملية التدوين الفلسفي للتاريخ بالنسبة للمؤرخين والباحثين وغيرهم من الفلاسفة في هذا المجال، نظرًا لما تحمله بين صفحاتها من معلومات قيمة ونادرة، قلما نجدها في كتب التاريخ الأخرى، فهي تصور لنا أماكن وأزمنة لم نكن لنحصل عليها دون مغامرات أولئك الرحالة والمسافرين عبر مناطق الكون. لكن مع ذلك وجب على مستعمليها أخذ الحيطة والحذر في عملية النقل منها، كما ويجب إخضاعها للنقد التاريخي، كون أن كتابات أصحابها غير دقيقة تمامًا، يتخللها بعض الخيال، وتسودها صبغة الذاتية، إضافة إلى عدم إتقان معظم مؤلفيها للغة العربية وغيرها من النقائص التي تشوبها. وعليه فإن كتب الرِّحلة لها ما لها وعليها ما عليها في عملية التوثيق الفلسفي للتاريخ[١٢].

ثانيًا: فلسفة الرحلة وملامحها الأستريوغرافية عند الحسن الوزان ولويس[١٣] دل[١٤] مارمول[١٥] كاربخال[١٦] — أنموذجًا.

إن التقميش بتَحَزٍّ، والبحث بتَقصٍّي، في موضوع نقد الكتابة التاريخية عند الحسن الوزان ومارمول كاربخال ونمطية التحيلات الفلسفية في رِحلتيهما، لا يمكن فهمه، إلا باستحضار ترسبات الموضوع ومفاهيمه، بالتعريف بالرحالتين المذكورين، والوقوف عِلاوة على ذلك على أبرز ما تشابها واختلفا فيه في طبيعة رِحلتيهما، وهو أساسٌ ارتكزنا عليه لتطويق مسعى هذه الدراسة وتسييجها، بغية الوصول إلى مواطن التشابه والاختلاف في المنهج والأسلوب المعتمد في استريوغرافية الرِّحالتين، وِفق الشكل ذي الطَرْز المنهجي والمعرفي التالي:

٢/١-قواعد النقد الفلسفي للمصادر التاريخية ومناهجه

لعله من المفيد أن نؤكد أن الموضوعات المهتمة بتاريخ الكتابة التاريخية وخصائصها الفلسفية عبر العصور من بين الإشكالات التي باتت تواجه الباحثين اليوم في الحقل التاريخي، غير أن أول ما يصطدم به الباحث أو الخبير التاريخي وهو بصدد محاولة الكشف عن فلسفات التدوين التاريخي لأي عصر من العصور، هو صعوبة التوفيق بين أسس ومناهج الاستقصاء الفلسفي وضوابط المدارس التاريخية التي أضحت اليوم تعرف نوعًا من المقاربات التي تسعى لتوضيح الحوادث التاريخية بإعمال التفكير التاريخي المبني على سلوكيات الفاعلين التاريخيين، سواء كانوا أفرادًا عاديين أم كتابًا عايشوا الفترة الزمنية المُؤَرخ لها، وقيدوا مشاهداتهم وما عاصروه في كتبهم ومؤلفاتهم على اختلاف أشكالها.

غير أن التعامل مع مثل هذه المواضيع يفرض علينا أن نُقِيم علاقة مُجتمعية نقدية مع هؤلاء الفاعلين التاريخيين، ينبغي علينا أيضا احترام توجهاتهم ونمطية تفكيرهم، وخاصة منها طبيعة نظرتهم للتاريخ والوقائع التي يؤرخون لها[١٧]، فالبشر الذين عاشوا في الماضي ليسوا بالضرورة أكثر عنصرية في سرد التاريخ أو أكثر وحشية وعدائية مع غير الشعوب التي ينتمون لها[١٨]. فالشيء الواجب الحذر منه عند تناول مثل هكذا طروحات في مجال فلسفة التاريخ هو تجنب الوقوع في انتهاك أعراف التفكير التاريخي ونحن نحاول الغوص في مناهج "تفكير التفكير" الذي كان معمولاً به في الماضي، والذي لا يوافق بأي حال من الأحوال معاييرنا أو معتقداتنا الخاصة اليوم[١٩] كمفكرين يبحثون عن الحقيقة التاريخية انطلاقًا من مدارس فلسفة التاريخ والتي أصبحت "مدرسة ما وراء المعرفة" أحد أقطابها اليوم. لذلك يجب الأخذ بالحسبان مجموعة من القواعد الفلسفية على المستوى النظري والإجرائي لعمليات اخضاع المادة التاريخية للنقد التاريخي الفلسفي، والتي لا يفوتنا أن ننوه بأهم ضوابطها في الموالي:

أ. **تجنب التعميمات الواسعة، لأنها قد تكون في الأغلب خاطئة.**

ب. **تجنب المفارقة التاريخية، التي قد تكون غير موائمة لزمانها ومكانها أو إطارها التاريخي المناسب.**

ت. **الالتزام بالوعي وكبح الميولات الشخصية**: لأننا نختار موضوعات تثير اهتماماتنا، ومع ذلك لا يجب أن يدعوا اهتمامنا هذا أن يقود طريقة تفسيرنا للماضي، حيث تتضح لنا الصورة أكثر عندما نتأمل هذا المثال: قد يثاب دارس المرحلة المبكرة من تاريخ أوربا الحديث، مثلاً، بالفزع من القيود القانونية والاجتماعية والاقتصادية المفروضة على النساء في تلك الفترة. وقد يعبر وصف رجال القرن ١٠هـ/١٦م، بأنهم كانوا **"أنانيين"** بقوة عن حس الطالب بالنقمة لما يبدو للعين المعاصرة بأنه غير عادل، لكنه ليس مقاربة مفيدة للمؤرخ الذي يحاول أن يفهم وجهات نظر الناس في الماضي ضمن الإطار الاجتماعي للفترة المدروسة عامة[٢٠].

٢/٢-فلسفة الاختلاف والتشابه في رِحلتي الحسن الوزان ومارمول كاربخال

(٢/٢) ١-من حيث المولد والنشأة:

يتشابه كل من الحسن الوزان ولويس دل مارمول كاربخال في كونهما قد ولدا بغرناطة. هذا ويظهر تشابه آخر والمتمثل في وجود تاريخ الولادة لكل منهما، أي أن السنة الّتي ولدا فيها معروفة لا غبار عليها. غير أنهما يختلفان في تاريخ الولادة، فالأول ولد عام ١٤٩٦م[٢١] والثاني ولد سنة 1524م[٢٢]، وهكذا يكون الوزان كبير في السن مقارنة بلويس دل مارمول. بالإضافة لاختلافيهما في طبيعة الولادة وملابساتها، فالأول ولد بطريقة شرعية وبوجود أب وأم يجمعهما رباط الزواج الشرعي الإسلامي، أما الثّاني فقد ولد بطريقة غير شرعية استنادا للوثائق الّتي عثر عليها "أُونطُوني بوغليش"[٢٣].

كما يمكن ملاحظة اختلاف آخر بين الرحالتين، فالوزان وبحكم عائلته المُسلِمَةُ[٢٤] - [٢٥]، يكون قد خضع لتعاليم الدِين الإسلامي الصحيح، وذلك من حيث الإختتانِ الإسلامي، أما لويس دل مارمول وعائلته الّتي تدين بالدين المسيحي، وربما

حتى أنها عائلة يهودية الأصل، حسب ما قدمه "خافيير كاستيلو"، فإنه أقول؛ قد تتبع بذلك لتعاليم الصليبية التي أباحت عدم الإختتان تسهيلاً على من يريد اعتناق المسيحية.

أما عن طبيعة ومكانة عائلتيهما فالفارق واضح، كون عائلة الوزّان قد كانت عائلة ميسورة الحال حسب ما ذهب إليه "مصطفي بنسديرة"، فزيادة على مكوثهم في "حي البيازين" بغرناطة، والّذي لا يسكنه غالبًا إلا أصحاب المال والثروة، فقد كان والده يعمل لدى الملوك المسلمين بغرناطة، وهذا ما أعطاهم الحظوة الاجتماعية والأولوية السياسية في موطن هجرتهم بعد ذلك في فاس[٢٦] بعُدوة[٢٧] المغرب العربي؛ مِمَّا مكنهُم من امتلاك أَراضي ومساكن من مالهم الخاص، والتي كان منها "قصر العباد" خارج أسوار فاس[٢٨]. عكس لويس دل مارمول كاربخال وعائلته الّتي حتى ولو كانت من طبقة النبلاء في غرناطة أبا عن جد[٢٩]؛ إلا أنهم كانوا يستغلون كل الطرق للحصول على الوظائف أو الامتيازات من القصر الملكي[٣٠]، وهنا تتبادر إلي الأذهان العديد من الأَسئلة على شاكلة: **لماذا تلك الحركة غير العادية من قبل هذه العائلة وبالضبط في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ إسبانيا؟**

على ما يظهَر فإنّ الجواب على هذا السؤال لا يمكنه الخوض فيه في ظل غياب الوثائق الأرشيفية، إلا بربط السياق التاريخي بما كانت تعانيه الأُسَر على اختلاف مستوياتها في نهاية العصرِ الوسيط بأوربا ومنها "عائلة مارمول"، أي أَن ميزة هذه الفترة كانت تبين بوضوح أَنه حتى ولو كانت الأسرة من طبقة النبلاء، فهذا لا يعني أَنها ثرية، فأَساس المكانة الاجتماعية كانت مؤسسة على الوظيفة الدينية مثلاً، لا ما هو موجود من مال أو ثراء فاحش؛ لذلك في العصر الحديث تزاوجت هذه الأسر مع التجار الكبار وأَصحاب رؤوس الأموال، وهذا بالضبط ما حدث لعائلة لويس دل مارمول كاربخال، فقد بدأت تزاحم الأسر البرجوازية [المالية والعلمية] لكسب مكانة برجوازية بينهم. والدليل على ذلك هو أن "بيدرو دل مارمول"[٣١] والد لويس دل مارمول ومجموعة من عائلته وعلى وجه التحديد "دييغو زاباطا دل مارمول"، و"لورينزو دل مارمول"، قد قاموا بتزويرِ العديد من الوثائق[٣٢]، منها وثائق خاصة بالمورسكيين، لحيازة أراضيهم وأملاكهم بطرق غير شرعية بإيعاز من ملك إسبانيا "فلِيب الثاني (ت١٥٩٨م)"[٣٣] نفسه[٣٤].

(٢/٢) ٢-من حيث الوظائف المسندة إلى كل واحد منهما:

إن الوساطة " La Médiation " في نيل الوظائف كانت موجودة لدى الرجلين، فالوزان قد حصل من دون شك على الوظيفة في القصر الوطاسي[٣٥]، من قبل عمه الّذي كان عاملاً لدى ملوك فاس، وهذه الميزة لا يختلف فيها مع لويس دل مارمول كاربخال بناءً على ماضي أسرة هذا الأخير في العمل لدى القصر الملكي الإسباني[٣٦]، ابتداء بجده، مرورًا بوالده، وصولاً إلى لويس دل مارمول نفسه، فالوساطة في الحصول على الوظائف كانت السمة المشتركة بينهما.

ومن دون الوقوع في مغبة الخطأ، يمكن أن يُستنبط تشابه آخر كون الرجلان قد توظفَا الوظيفة نفسها من خلال "سفارة الدبلوماسية"، فالوزان اتجاه الأَستانة بإستنبول[٣٧] ولويس دل مارمول كاربخال اتجاه لشبونة عاصمة البرتغال مثلاً. ثمّ أن كلاهما قد تأَثر بوظائف والده، فالوزان قام بجمع الضرائب من مختلف مناطق المغرب الأقصى مثل والده تمامًا[٣٨]، ولويس دل مارمول كاربخال فقد سعى لوظيفة القضاء وحصل عليها كوالده. استنادًا لقول المورسكي "خوان لاتينو"؛ حيث ذكر تحركات مارمول في محكمة مدريد بهدف الحصول على وظيفة بالمحكمة. تشابه آخر يظهر في تارِيخ دخولهما مجال العمل والتوظيف، فالسن تقريبًا كان متشابهًا بينهمَا؛ بحيث أن الوزان توظف وعمره عشر سنوات، وهذا لا يختلف عند لويس دل مارمول كاربخال، الّذي انخرط في الجيش الإسباني وسنه أحد عشرة سنة.

وعند التمحيص الدقيق لمسار الرجلين؛ يظهر أول اختلاف يكمن في مهنة الوزان العسكرية والتي لم تكن مثل مارمول كاربخال؛ فقد كانت وظائف الوزان تحصيل حاصل لما كسبه من علوم في مختلف فروع المعرفة؛ فهو قد مارس مهنة الضبط والتقيد ـ الكتابة ـ في القصر الوطاسي، ثم توظف في جمع الضرائب من مختلف أنحاء المغرِب الأقصى[٣٩]. عكس لويس دل مارمول الّذي كانت وظائفه ذات صبغة مخابراتية وعسكرِية، وذات توجه مصلحي شخصي؛ والذي يظهر ذلك من خلال تحركاته الهادفة للأماكن ذات الثقل الملكي البرجوازي، بغرض الحصول على الامتياز الملكي، خلافًا للوزان الّذي كان يعمل على ما يبدو بغرض الحصول على الأُجرة لا غير[٤٠]، وهذا ما يتبين من ملابسات حصول لويس دل مارمول على الوظائف الراقية في ذلك العصر، وذلك كله ليس تأسيسًا على ما حصله من تعلم وقاعدة علمية تؤهله لذلك المنصب أو غيره، بل بناءً

على قاعدة الخبرة المكتسبة في مجال الجوسسة والأسر في شمال إفريقيا. وهذا خلافًا للطريقة الّتي توظف بها الوزان، والّذي تحصل على وظائفه وفق معايير ومؤهلات علمية وتفوق علمي[٤١]، لا بمعيار التفوق البيروقراطي على شاكلة لويس دل مارمول وعائلته.

اختلاف آخر يمكن تبيانه، وذلك من خلال وظيفة كل واحد منهما في الأسر، فمارمول كاربخال لم يوَظف في قصر السعديين عند أَحمد الأَعرج (ت. ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧)[٤٢] ومحمد الشيخ (ت. ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م)[٤٣]، وهو أسير عندهما في المرة الأولى، ولا حتى عند صالح رايس في المرة الثانية، عكس الوزّان الّذي وُظف في مدرسة بولونيا[٤٤]، كمدرِّس للغة العربية هناك[٤٥]. إضافة إلى أَن لوِيس دل مارمول كاربخال كان تاجرًا ماهرًا يستعمل كل الحيل الممكنة للحصول على العقارات المادية كانت أم المعنوية الخاصة بالمورسكيين، عكس الوزان تمامًا الّذي لا يظهر عليه أي نشاط تجاري مادي كان أم معنوي يذكر.

(٢/٢) ٣-من حيث طبيعة الرِّحلات وتجاربهم الرِّحلية:

لا يختلف كل من الوزان ولويس دل مارمول في أن كليهما قد مزج بين الرِّحلة والوظيفة، فالأول قد رحل لمملكة صانغاي للبحث عن تحالف مع ملكها ضد الأتراك العثمانيين[٤٦] والثاني توجه صوب الفاتيكان بإيطاليا في محاولة لم شمل المسيحية ضد الإسلام للتعبئة العسكرية من قبل فليب الثاني، والّتي تُوِّجت بموقعة "ليبانتو" سنة ١٥٧١م، وهذا المسعى من قبل مارمول كاربخال لا يختلف عند الحسن الوزان الّذي كان موَجها من قبل سلطان فاس[٤٧] بهدف إيجاد مساندة من السودان الغربي وممالكه ضد الأَخطار الخارجية التي كانت تهدد الوطاسيين وقتذاك. بالإضافة لتشابه آخر في رحلته للأستانة بإستنبول[٤٨]، والّتي تقابل رحلة مارمول كاربخال تجاه لشبونة بالبرتغال، فكل المراسلات الدبلوماسية الرسمية بين سلطان فاس والسودان الغربي، أو بين فليب الثاني ولشبونة والفاتيكان، توَضح ذلك وتؤكد على بعثة السفارة " Mission Diplomatique ". عند الرحالتين.

تشَابه آخر يمكن استقراءه من مسار الرحلتين؛ فالوزان يبدأ من الشرق تجاه الغرب في رِحلته الأولى، ثم عمل من جديد على استثمار طرِيق الرحلة الثانية؛ فبذلك تكون مكملة للرِحلة الأولى الّتي قام بها في صغره، وكذلك مارمول كاربخال الّذي بدأ حتى هو من الشرق، وعندما عاد للشّمال الإفريقي سنة 1554م في رحلته الثّانية، أكمل من جدِيدٍ ما بدأه منذ تسعة عشرة سنة عندما بدأ الرحلة الأولى من بوابة تونس سنة ١٥٣٥م.

ومن باب الاختلاف، تظهر الرِّحلة عند كل من الوزان ومارمول كاربخال؛ متباينة عن بعضها البعض من خلال طبيعة الرِّحلة وهدفها، فباستثناء كون الرّحلة كانت دبلوماسية وفي إطار الوظيفة اللّتان تكونا فيهما الرّحلتين متشابهَتين؛ فإن اختلاف جوهري يظهر على رِحلة الوزان مقابل رحلة مارمول كاربخال؛ خاصة عندما كان الوزان جغرافي ورحالة بكامل المواصفات، إذ يعتمد على الدقة في إبداء ملاحظاته، ويمزِج بين كل العلوم تَقرِيبًا في صياغته لسطور مُؤلَّفه الرِّحلة لما يَصفه ويُشاهده، أو يقوم بتحليله، والتأريخ له من قبل من ينقل عنهم الخبر. فغاية الرِحلة عنده هي الدافع العلمي المتجرد من كل حساسيات العصر؛ فهي كفطرة عند الوزان كسبها في صغره ونَحتتها طبيعة المجتمع المغرِبي آنذاك ـ الرحلة الحجازية ـ[٤٩]، عكس مارمول كاربخال الّذي كان دافعه بالدرجة الأولى جوسسي محض "Espionnage ".

ويمكن ملاحظة اختلاف آخر في مسار الرحلة، فالوزان قد انتهت رحلَاته بالأسرِ، عكس لويس دل مارمول كاربخال الّذي كان يقوم برِّحلاته مرة حرًا طليقًا ومرة أخرى أسيرًا رفقة جيش محمد الشيخ السعدي (ت٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م)، أم صالح رايس (ت ٩٦٣هـ/١٥٥٦م)[٥٠]، متّخذا بذلك الأسر منطلقًا لرِحلاته.

(٢/٢) ٤-من حيث الديانة والمذهب العقدي:

الاختلاف واضح بين الرحالتين من الناحية الدينيَة والمذهبية؛ ولكن هناك بعض الجزئيَات وجب الإشارة إليها وهي في الموالي:

أولاً: أَنهما يدينان بديانتين سماوِيَتين، وهي سمة يشترك فيها كل واحد منهما.

ثانيًا: أَن الوزّان بعدما تمسح ـ وهو محلّ دِرَاسات وبحث لحد الساعة ـ؛ فهو يشبه بذلك مارمول كاربخال دينًا ومذهبًا، أي أَنّه قد دان بالديانة المسيحية في مذهلها الكاثوليكي، والّذي كان البابا ليون العاشر زعيمًا لها وحاميها في أوربا الغربية؛ فأَفكاره بذلك تكون أفكار من مسحه، وأَدخله الدين الجديد. إلا أنه يظهر على أساس ذلك فرق يكمن في تاريخ تعميد كل منهما؛ فمارمول كاربخال قد خضع كما سَبقَت الإشارة إليه للتعميد منذ صغره أي بعد الولادة مباشرة على ما يبدو، أما الوزان فقد عمده البابا ليون العاشر شخصيًا وعمره يتجاوز الثالثة والعشرين سنة.

كما أن لويس دل مارمول كاربخال لم يرتد عن ديانته المسيحية، بل بقي متمسكًا بدينه، عكس الوزان ولظروف كيفما كانت فقد ارتد " Apostasier " عن الدين الإسلامي.

(٢/٢) ٥-من حيث ملابسات الأسر:

ما يمكن أن نستنتجه من مستجدات ما بعد الأسر، أن كل من الوزان ومارمول كاربخال قد تعلما لغة الآخر، فقد تعلم الأول اللغة الإيطالية[٥١]، وهذا ما فعله الثاني بتعلمه اللغة العربية والبربرية وثقافتيهما[٥٢]. وأما عن أوجه الاختلاف، تحيلنا كواليس الأسر إلى رصد اختلاف في عدد مرات الأسر بين الرحالتين، إذ أن الوزّان قد وقع مرةً واحدة في الأسر[٥٣] من قبل فرسان القديس يوحنا سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م[٥٤] قرب جزيرة جربة التونسية، عكس مارمول كاربخال الّذي سقط في الأسر مرّتين، مرةً عند السّعديين بالمغرب الأقصى، ومرّةً ثانية في يد صالح رايس عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م، بإيالة الجزائر. بالإضافة لاختلاف آخر يظهر في مدة الأسر؛ حيث أَن الوزّان كانت مدة أسره حوالي عشر سنوات، وهذا يختَلف عند مارمول كاربخال الّذي أَسر لمدَّة سبع سنواتٍ وثمانية أشهر، وذلك باحتساب مدّة الأسر الأولى والثّانية[٥٥].

كما أن تاريخ الأسر يختلف بينهما؛ حيث أَنَ الوزّان أُسر سنة ١٥١٩م[٥٦]، خلافًا لمارمول كاربخال الّذي أسر عام ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م، ثم مَرَّةً ثانيَة عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م[٥٧]. ثم أَن أسر الوزّان سيتحول لِمكوثٍ اختيارِي لا اجبارِي؛ فحينما يُدقق لِما وقع معه بالفاتيكان وإيطاليا عمومًا، من خلال الحرية الّتي كان يتمتع بها، والأجر الّذي كان يتلقاه من البابا، وعدم تقييده في التحصيل العلمي والتأليف؛ سيستكشف أنه كان يعامل معاملة العالم لا معاملة الأسير[٥٨]، عكس مارمول كاربخال الّذي لم يتحصل على امتياز يذكر من قبل الملوك السعديين[٥٩].

ومن جهةٍ أخرى؛ فإنَّ الكيفية الّتي استغل بها الوزّان في الأسر مقارنة بمارمول كاربخال تختلف، فالأول أَصبح وسيلة ونافذة للتعرف على المجتمع الشمال إفريقي[٦٠] حيث استغل جيّدا لمعرِفة طبوغرافية الشمال الإفرِيقي[٦١]، مقارنة بمارمول كاربخال الّذي لم يستغل على ما يبدو من قبل الملوك السعديين "أحمد الأَعرج ومحمد الشّيخ"، أَو حتَّى من قبل "صالح رايس"، بل العكس قد وقع، فمارمول كاربخال هو الّذي استثمر أسره وعمل على معرفة وتتبع كل صغيرةً وكبيرةً في المناطق الّتي تواجد بها بشمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء.

اختلاف آخر يظهر في الكيفِية الّتي وقع فيها كل واحدٍ منهما في الأسر، فالوزّان قد وقع ضحية عمليات القرصنة في البحر[٦٢]، خلافًا لمارمول كاربخال الّذي أُسر من قبل السعديين بالمغرب الأقصى والأَتراك العثمانيين في الأيالة الجزائرِية، والّذين كانوا يحاربون كل دخيل، سواء في السواحل أَو في المدن والأرياف والحواضر والقرى الداخلية. كما أَنّه أُسر في البرِ لا في البحر مثل الوزّان[٦٣]. ويستنبط اختلاف آخر يكمن في عمر كل واحد منهما لما أسر؛ فالوزّان لما أُسر كان عمره ثلاثة وعشرون سنة ولويس دل مارمول كاربخال لم يكن سنُّه يتَجاوِز سبعة عشر سنة عندما أسر لأول مرَّة.

(٢/٢) ٦-من حيث الوفاة:

حقيقة لا يوجد تشابه يذكر حول وفاة كل من الوزّان ومارمول كاربخال، لعدة اعتبارات. نذكرها في الموالي:

أَوَّلا: أن الغموض الّذي يغطّي حياة الوزّان، خاصةً بعد رجوعه للعُدوة المغربية ـ شمال إفريقيا ـ، لا يعطي إمكانية المقارنة بين الرحالتين، ولا يهيّئ حتى الدليل للتقصي والبحث بالمقارنة بينهما؛

ثانِيا: ستكون الوضعيَة عند المقارنة غير سليمة، سواء بطريقة القياس أو حتى التأويل لا يفيد في مثل هكذا مواضع يكون فيها أحد الطرفين نهايته غامضة؛

وحتى لو وضع الوزّان مارمول كاربخال في قالب التشابه من حيث وفاة كل واحد منهما في بلده الأصلي؛ فإن مارمول كاربخال لا غبار على مكان وفاته التي كانت في إسبانيا، أما الوزّان فقد ذكرت مصادر أوربية أنه رجع لإيطاليا بعد ارتحاله لتونس عام ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م[٦٤]، فتكون الوضعية غير سليمة كما سبقَت الإشارة إليه. ولا يستقيم بعدها البحث. ومع ذلك، فلو فُرض جدلاً على أساس قول "ويد منسطار"[٦٥]، الّذي جزم أَن الوزّان قد رجع لبلاده عام ١٥٢٩م، وهي السنة الّتي تعتبر كمعلم لوفاته أو بعبارة (كان حيا حتى غاية ١٥٢٩م)، ومقارنتها بوفاة مارمول كاربخال في العقد الأول من القرن ١١هـ/ ١٧م، سنة ١٦١١م، يكشف ذلك الفرق الكبير بين الرحالتين في تاريخ الوفاة، وفي عمرِ كل منهما، فلويس قد عاش مدة سبع وثمانون سنة، أما الوزّان فقد عاش استنادا لقول "ويد منسطار"، ثلاثة وثلاثون عامًا في انتظار ما ستسفر عليه قادم الأيام، وما ستكشفه المصادر من وثائق أرشيفية أو مخطوطات لرحالة لم تكتشف بعد مستقبلاً. أي أن الاختلاف بناءً على ما سبق يكمن علميًا ومن دون تأويل، في وجود تاريخ ومكان مضبوط لوفاة مارمول

كاربخال، أما الوزّان فلا وجود لتاريخ ولا مكان يبسط الدليل لمواصلة التقصي والبحث.

(٢/٢) ٧-من حيث طبيعةُ الرِّحلات ومميزات العصر:

لقد ذكر "صلاح الدين الشامي"، أنه: « (...) من غير الرِّحلة ينفرط عقد هذه الوِحدة، وتتضرر حركةُ الحياة، ومصيرها المشترك»[٦٦]. فالرِّحلة في حد ذاتها تعتبر اكتشاف للذات وللآخرِ؛ ولكن ذلك الاكتشاف يُوجه، ويُمنهجُ على أُسس مختلفة، تختلف من رحالة لآخر، أو بالأحرى من شخص لآخر. كما دعمت الرِّحلة حركة التوسع الإقليمي[٦٧]، بصفةً مباشرةً أم غير مباشرةً. ومن منطلق دور الرِّحلة في كشف المتغير والثابت، كانت طبيعتها تختَلف من رحالة لآخر، وتتشابه كثيرًا في بعض الخصائص، وعليه يمكن وضع الحسن الوزَّان ومارمول كاربخال ضِمن هذه الإشكالية التاريخية والفلسفية؛ فيكون التشابه والاختلاف في الآتي:

ممَّا يُستنتج من رِحلتي الحسن الوزَّان ومارمول كاربخال؛ أن أوجه التشابه تكمن أولاً في دافعية معرفة الآخر، وذلك تأسيسًا على القاعدة التالية: «(...) يكون في نية الرحالة أَن يعود عندما يرضي بعضا من فُضوله وحبّ استطلاعه (...)، فَالرِّحلَة حالةٌ عقليةٌ (...)» [٦٨]، وهذا كله لا يخرج عن إعداد مسرح الأحداث ـ الحوادث ـ بالبحث في السبب الخاص والعام[٦٩]، بغرض بعث قاعدة تكون منطلقًا لسيرورة واقعية أو تاريخية مستقبلية جديدة.

ثُمَّ أَن مميزات العصر، فرضت عليهما الكشف عن المجهول، وتجاوزِ الانطواء على النفس حسب قول "محمد بن أحمد بن شقرون" أَحد المهتمين بفن الرِّحلة:«(...) أَن الرِّحلة أنواع (...) تتنوع الأَغراض (...)، وتطبع بطابع العصر (...)» [٧٠]، فإذا عُدنا لطابع المجتمع المغربي في ذلك العصرِ، وجد أنه يستمد روحانيته من المجتمع وتمسكه بدينه ـ رِحلَة الحج ـ فقد أَدى الأمر بالحسن الوزان نَجاة بنفسه ومجتمعه عند قعوده في أَحد الأوطان ـ الأَستانة[٧١] ومصر في طلب النجدة من السلطان العثماني ـ أن يسلك بنفسِه سلُوكا آخر ـ أداء فريضة الحج ـ [٧٢]، فهنا نستنتج تغير طابع الرِّحلَة عند الحسن الوزَّان من تطبعه الدبلوماسي والّذي أملاه عليه واجبه تجاه القصر الوطاسي، إلى تأثير آخر اجتماعي روحي ديني مُتمثل في دافعية الحج؛ فيكون الطابع مختلف بحسب اختلاف مميزات العصرِ. والشيء نفسه حدث مع ومارمول كاربخال، فمن مُنطلق غرِيزة الكشف والّتي هي أَيضا غرِيزة في نفسية الوزَّان، انتقل مارمول لإشباع غريزة أُخرى ألا وهي غريزة الدين وفضول الإمبراطور، وهذا ما جاءت لتفسره قاعدة السلوك الاجتماعي والنفسي. في الآتي:«(...) الغريزة تختفي إذَا اختفى ما يؤكد وجودها، وتزداد قُوةً إذَا قَوي المظهر السلوكي الجديد (...) »[٧٣]، فميزة العصر أَيقظت غريزة الرحالتين كونها محجرةٌ، مخزنّة، تتأَقلم مع معطيات جديدة لكل لحظة من لحظات العصر، وكما يقول "كانط" :« (...) وبمقدار أَن تكون كل نكسة درسا، ومُنطلقا لتقَدم جديد، يدفَع الإنسان للتقدم (...)» [٧٤]. بحكم ما يمليه العصر من ظروف جديدةٍ، تحتم على الرحالة السير وفق المستجدات نجاةً بالنفس والمجتمع؛ فهما لا يختلفان في هذه الخاصية.

ولقد اختلفت طبيعة الرِّحلة عند الرحالتَين؛ باختلاف تكوينهما في بيئتين مختلفتين، وباختلاف الوظيفة المسندة لكل منهما، حيث يتبَين من رحلة الحسن الوزّان أَن تكوينه الديني العميق، قد حتَّم عليه تأدية العمل الديبلوماسي أولاً، واضعًا بذلك مصلحة مجتمعه فوق كل اعتبار، ثم القيام بالرّحلة لأَداء الحجّ[٧٥]، فالإنسان بن بيئته. فبحكم روحانيته الدينية توجه للحج ولإشباع رغبته وفطرته، وبحكم وظائفه عمل على تمثيل مجتمعه عند مجتمع آخر. أما مارمول كاربخال، فقد كانت بيئته تختلف تمامًا عن بيئة الوزان؛ كون الرجل عسكري وظروفه الاجتماعية القاسية في صغره، حتمت عليه الانخراط في السلك العسكري، وتمسكه بمبدأ السلطة في تكوين الذات ـ وهي ميزة الجُندِي ـ فطبعه عصره بطابع العسكرية والمنفعة المادية في الوقت نفسه. وبِاعتبار أَن تأَقلم الجندي ضروري في مثل هذه الأوقات ـ ليتطور إلى العمل المخابراتي الجوسسي ـ فالسلطة لا تأتي إلا من تطور الوظيفة، والحصول على الامتياز، في عصر قيل عنه: « (...) عصر الأَثرة والأَنانية، وتقديم المصلحة الشخصية (...)، الّذِي هو بطبيعةَ الحال افرازٌ لعصره، تلك البيئةُ الّتي تتمرغ في أَوحال المادية، وتعاني من مرارة الصراع النفعي (...) ثم فوق ذلك كله هي غارقةٌ إلى أُذنَيها في النظرة المتعصبةُ الحاقدة على الإسلام »[٧٦]، ففي ظل هذه الظروف صبغت رِحلة مارمول كاربخال المخابراتية بصبغة أَدب الرِّحلة والأسر.

بالإضافة إلى أن كلا الرحلتان تختلفان من حيث التوفيق بين المضمون وحساسيات العصرِ؛ فيظهر ذلك من خلال عدم تفهم العصر من قبل مارمول كاربخال، فجاءت رحلته من حيث الدافعية والنتائج المستخلصة ناقصة في فهم الآخر، استنادا للقَول الآتي :« (...) أَما إذَا كان يَتلَقَاها بَادئ ذي بدء، وهو معطل الفكر أو الحس عن عَمدٍ أَو غَير عمد؛ فَإن هذا التعطيل المتعمد أَو غير المتعمد، يحرمه استجابة معينة للحادثة التاريخية أي أنه يحرمه عنصرا من عناصر ادراكها وفَهمها على

الصورة الصحيحة، ومن تم يجعل تفسيره لها خاطئا أو ناقصا»[٧٧].

فبذلك تكون رحلة مارمول كاربخال، حسب محورية الدافع ـ الجوسسة والعسكرية ـ ومحورية الفهم ـ تسلط الذات ـ بميزتها هذه تختلف كل الاختلاف عن رِحلة الوزّان، كون هذا الأخير على ما يبدو يفهم عصره؛ فهو كمخضرم، عاش جزء من حياته في غرناطة، وهو مطلع على تراث الآخر بالمقارنة ـ القشتالية وَالعبريةُ ـ وتعلم الإيطالية في روما[٧٨]، وكون دافعيته كانت الدبلوماسِية لا الجوسسة؛ فكانت سعة اطلاعه قد صبغت محتوى الرِّحلة، كبطل تاريخي في قصة الأنا والآخر[٧٩] ـ مبنيةٌ على أُسس علمية تاريخية لا على أسس روائية خيالية تصورية ـ واضعًا نتائجه بحذر شديدٍ في إصدار الأحكام. ومرد ذلك مما يستَقرأ من سِياق الرِّحلة طبعًا؛ أن حسَّه الفكرِي في فهم الحادثة التاريخيَة قد توافق بالاقتراب من ذهنيَته، بأكثر حذر عندما بلورها في سياقٍ جديد؛ فجاءت رحلَته متمكنة من ذاتيَتِها، وحتَى لو يُقارن مارمول كاربخال بالوزّان جدلاً، كون الأخير تعلم اللغة العربية وأَتقنها ـ فهو بذلك مطلع على عالمين اثنين ـ؛ إلا أن رؤية مارمول كاربخال الذاتية طغت على الرّحلة، مكونة بنية محورية عسكرية غير متفهمة لبيئة الآخر.

(٢/٢) ٨-من حيث الدوافع وأَسباب التأليف:

أجمعت أقلام المؤرخين على أَن دوافع التأليف في بداية عصر النهضة في أوربا، كانت تتسم بتمجيد أمة على أُمة في أغلبها ومفاضلة مجتمع على مجتمع أخر، فباعتبار التكوين الاجتماعي للفرد سواء كان مؤرخا أو جغرافي...، وتأثرِه بالعناصر المكونة لعصرِه، كانت كتابات هؤلاء ممنهجة ومسيرةٌ.

هذه الظرفية الجديدة في معرفة تراث الآخر؛ اقتَضت من أصحاب الأقلام آنذاك، التأقلم مع هذه البيئة الجديدة[٨٠]، وبحكم طبيعة الأسر خضع كل من الوزّان ومارمول كاربخال لهذه التأثيرات[٨١]، فيلاحظ على الوزان وتأليفه الموَجه للبابا ليون[٨٢]، أنه كان أَداة من أَدوات دراسة الآخر، ومارمول كاربخال الّذي كتب لأُمته؛ فهو الوسيلة المسخرة لفهم طبائع وعادات الطرف الآخر، فلكلا الرحالَتين الرغبة في المحافظة على الذات، يعني تفسير سلوكيهما هو الخضوع للطرف الأقوى من أَجل البقاء[٨٣]. فمارمول كاربخال حاول اقحام فكره حفاظًا على النوعِ ـ غريزة الذات، والعناصر المكونةُ للمجتمع ـ والّذي مظهره رغبة فِليب الثّاني (ت١٥٩٨م)، في معرفة الآخر، وكذلك الوزّان الّذي كانت دافعيته المحافظة على ذاتيته بالدرجة الأولى- كونه أَسير متأقلم-على مصيرِه في روما من جهة أخرى[٨٤]، وذلك بإشباع فضول ولي نعمته البابا ليون العاشر[٨٥]. ليظهر تشابه آخر، وهو أَن كل من الوزّان ومارمول كاربخال، قد قاما بالتَّأليف بناءً على طلب الساسة السياسيين والدينيين، ويبرز ذلك من خلال طلب ليون العاشر تأليف ـ تقرير في نظر ليون العاشر ـ وصف شامل لإفرِيقيا من الوزّان، ومن جهة أُخرى طلب فِليب الثاني من مارمول كاربخال وضع وصف ـ تقرير ـ شامل لإفريقيا[٨٦] ـ[٨٧].

واستنَادًا لقاعدة: « حقل الوعي تتحكم فيه مبدأ الرقَابة، وفي حقل اللاوعي تتحكم فيه مبدأ اللذَة [الذَاتيةُ] [٨٨]، ظهر تشابه آخر من حيث مبدأ الرقابة وذلك أن وعي " Conscience " الحسن الوزّان في تأليفه كان مقيدًا بمبدأ الرقابة ـ رقَابةُ الضمير الإسلامي في تصورات الوزّان ـ؛ إذ كتب لعالمين اثنين، فجاء تأليفه موجه أيضًا للمسلمين، ويظهر ذلك من خلال التواريخ الهجرية التي لم يهملها في تأليفه مثلاً. كما أنه ينسب نفسه للإسلام والمسلمين في كثير مِن مَوَاضِع التَأليف. ومثله في ذلك مارمول كاربخال الّذي خضع لمبدأ الضمير المسيحي الكاثوليكي، الّذي أملى عليه الغرض مكونًا الإدراك الداخلي بتأثير من السند الخارجي ـ البابا وسيف الإمبراطور ـ فرقابة الرجلين قيدتهما لتعطي صورة متجانسة بين المضمون وبنية الهدف.

ويختلف دافع التأليف بين الوزّان ومارمول كاربخال في أَن الأول كان دافعه بتأثير وبضغط من ظروف الأسر، أما مارمول كاربخال فأَقل ما يقال عنه أنه كان غير موضع الوزّان، فباعتباره كان مقربًا من البابا والإمبراطور؛ كان تأليفه خاضع لقاعدة القوي يسود لا الضعيف، في قول أحد المتخصصين في الدراسات الإستشراقية: « (...) فيَنطلق الحاكي في نسج خطابات يبني فيها ومن خلالها أَحداثا، ويهدم أخرى حسب تصوراته وقناعته (...)، يخضع الطرف الآخر لحتمية تمثيلِه»[٨٩]. أما الوزّان فكانت ظروفه تختلف عن مارمول كاربخال؛ كونه كان أسيرًا وألف كتابه في ظروف الأَسر؛ فكان دافعه مُركبًا بين عاطفة القلم وظلام الأسر، لتكون بذلك دافعيته موجهة. وحسب "ادوَارد سعيد" من مقولته الشهيرة نستكشف الشيء الكثير عن الاستريوغرافية التي أُسّست معالمها وخلفياتها في أوربا لدراسة الآخر ـ الشرق ـ، في قوله: « (...) الشرق ليس كما هو، بل الشرق كما شرقَن»[٩٠]، وذلك يدعم الدليل في صناعة التاريخ وتوجيهه، أي أنه حتى ولو كان الوزّان موضوعيًا إلى حد بعيد، ذلك لا يفند الحجة في عدم تأثره بظروف الأسر، فلولا البابا لما ظهر كتاب وَصف إفريقيا للوجود، بعد مشيئة الله عز وجل .

دافعية الوزّان كانت بغرض وضع صورة شاملة لدراسة الآخر، دون تغيير في حقيقة الحوادث التاريخية، عكس مارمول

كاربخال الّذي كان تأليفه بغرض تغيير نظرة الإمبراطور اتجاه الآخر وتحريضه عليه، ويتبين ذلك من خلال وصفه لمواطن الضعف عند السلاطين السعديين، في قوله: « (...) لأنه يمكن قصفها ومهاجمتها من شتى الأماكن ومن قريب جدًا (...)، كما يمكن أن يحدث (...) اتحاد الأُمراء المسيحيين وقيامهم بهذه العملية (...) »[٩١].

هذا ويبدو أن دافعية مارمول كاربخال لا تخرج عن نطاق الظروف التّاريخية مثل الكشف، والرِّحلات، كوسيلة من وسائل تعويض الفشل الّذي منيَت به الحملات الصليبية[٩٢]، وذلك يستنبط من قول "سيد أحمد على الناصري" في تفسيره للنظريات الحضارية، بقوله:« (...) لأن لكل جيل نظرته يمليها عليه واقعه الحضاري وظروفُه الخاصةُ ـ تحصيل حاصل لما سبقها من هزائم ـ، فَينظر إلى مفهوم التاريخ من زاوية خاصة»[٩٣]؛ فيكون مارمول كاربخال حبيس ماضيه. عكس الوزَّان الّذي كانت دافعيته تختلف كثيرًا عن مارمول كاربخال؛ بحيث لم ينساق انسياق الأخير؛ إذ كان أكثر منطقية[٩٤]، بالإضافة لعدم تحامله اتجاه أي دين أو عرق أو جنس ـ باستثناء خطابه الديني الموجه لليهود من دون التحامل عليهم ـ؛ حيث نجح في المزجِ بين رغبة البابا ليون العاشر، وذاتيّته هو الميالة لأدب الرِّحلات، فَسِعَةُ اطلاعه وانفتاحه كشفت الفرق بين الرحالتين.

كما أن دافعية التراكمية عند مارمول كاربخال والوزَّان تختلف، كون الأول وبحكم تحديد مدارات التواصل، كان دافعه أكثر تواصلية مع الامتداد التراكمي للتاريخ المسيحي. ويبرز ذلك في عدة مواضع من التأليف، بإدخاله سياق تارِيخي في غيرِ موضعه "موريتانيا الطَنجِية "، في عصر ـ النهضة ـ لم تعد فيه روما موجودة، وذلك تجسيدًا للقاعدة التالية: (« ...) في عصر احياء التراث القديم، ولَكن بنظرة الأنا المتسلطة (...)» [٩٥].

عكس الوزَّان الّذي كانت تراكميته علمية تهدف لبعث وتحليل الحوادث بغية الوصول لنتائج عن طرِيق فهم الماضي، وادخاله في سياقه الحاضر ـ حاضر عصر النهضة ـ ثم اخراجه في قالب جديد أكثر دقة، وهي كخاصية في عصر النهضة، باعتماده على المقاربة في التَأرِيخ ووصف المغرِب الأقصى بنظيرته إيطاليا، قياسًا على القاعدة التالية: « (...) وزاد من تفَوقهم في أُوربا، أَنهم لم يقتصِروا مثل علماء العرب على تاريخهم وحده، (...) وإنما اهتموا بتاريخ غيرِهِم (...) »[٩٦]؛ كونها ميزة إيطاليا في ذلك العصر[٩٧]. وهذا ما أعطى للوزان تراكمية ممزوجة بين دافع خدمة العلم وتطويره، وبين المزج بين حضارتين مختلفتين، استنادًا للقول التالي:« (...) تَقَبل ليون الإفريقي ثَقافَةَ الغير، رغم صعوبة التواصل واختلاف المنطقتين (...)» [٩٨]. فأظهر توافقه بين تراكمية الأَنا والآخر، دافعية قلما توجد أو تميز رحالة واحد من ذاك العصر.

ثالثًا: مقاربات تفكير التفكير التاريخي وآلياته الفلسفية عند مارمول كاربخال والحسن الوزان

٣/١-من حيث المنهج المتبع في الوصف والتأريخ

كان المنهج المعتمد من قبل الوزَّان ومارمول كاربخال فيه تشابه كبير بين الرحالتين[٩٩]، كون الرِّحلة تحمل في طياتها وخصائصها نقاط كثيرة، منها ما يشترك فيها عدة رحالة ومنها ما يتميز بها رحالةٌ واحد[١٠٠]، فأول ما يلاحظ في تشابه المنهجين بين الرحالتين ما يلي:

- تقسيم فصول الكتابين لا يختلف بينهما، فكلاهما يعتمد على التقسيم الإقليمي الطبيعي للمناطقِ[١٠١]، وهذا التقسيم كما هو معلوم مستمد ومقتبس من طريقة الوصف في أوربا آنذاك[١٠٢]، وذلك ما فسره بعض الملاحظين لتاريخ السلوك الإنساني وتعلقه بفلسفات العصرِ: « (...) إن لكل عهدٍ فَلسفةٌ واحدة (...) مما يجعلها وإن اختلَفت في التفاصيل، فَهي مدرسةٌ واحدة كبرى (...)» [١٠٣].
- أن كل واحد منهما قد سار في وصف المدن على نهج القدماء في تحديد الطول والعرض. وفيما يتعلق بمواد الوصف والتأريخ فإنه لا اختلاف بينهما، باعتبار الرحالتَين اعتمدا على المشاهدة المباشرة والنقل، وكل منهما يركز على فعل المشاهدة[١٠٤]، ويجعل النقل في الدرجة الثانية. وهنا تبرز قيمة الرِحلة بين الرجلين؛ وهي تعتبر كأساسيات المنهج الإثنوغرافي عند الرحالة.
- وعليه؛ فإن كل واحدٍ منهما يعتمد على المقارنة الإثنوغرافية في التأريخ، للوصول إلى المنهجِ الإثنولوجي، وهي ميزتهما في تحليل وتفسير السببية في تاريخ المجتمعات، وهذا ما جعل رِحلتي الوزَّان ومارمول كاربخال أكثر دقة[١٠٥]. وبغض النظر عن تمكنهما من الوصول أو الاقتراب من الحقيقة التاريخية، فهما لا يبتعدان عن بعضهما في الوصف الدقيق، والمرابط لثقافات المجتمعات الإنسانية[١٠٦].
- بالإضافة لتشابههما الكبير في استعمال منهج "الوصف بالفضائل"، وذلك عندما أسهبا في وصف محاسن مملكة مراكش وفاس[١٠٧]، فالوزَّان تتراوح عدد صفحات الترجمة العربية لـ "محمد حجي" فيما يخص مراكش حوالي اثنتين

وتسعون صفحة، ومملكة فاس حوالي مئة وسبعة وسبعون صفحة، وهذا لا يختلف عند مارمول كاربخال باستثناء بعض الإضافات[١٠٨]. وبناءً على ما سبق ذكره جاء تمييزهما للمدن وسكانها على أساس تصنيف المدن بخصائصها ومحاسنها، ومثل ذلك عند الوزان عندما قارن مدينة "فاس" مع "بلاد فارس"، واعتبر سكان فاس أكثر تحضرًا من سكان "حاحا"؛ معتمداً على أسس طبائعية للسكان ومدى درجة تحضرهم، وهذا ما قام به أيضًا مارمول كاربخال اعتمادا على الوزان، بتمييزه بين فاس ومراكش من جهة، وبين سكان فاس وسكان مراكش من جهة أخرى.

- وقد تشابها في طريقة كلّ واحدٍ منهما في معالجة التطبع الاجتماعي " Socialisations "[١٠٩] ــ التأثير والتأثر بين السكان والطبيعة ــ ومن أمثلته عند الرحالتين، طبيعة الجبال وتأثيرها على السكان مثلاً، فقد اقتربا من القاعدة الفلسفية الخلدونية التي ترتكز على السببية في معالجة التطبع الاجتماعي للأمم والمجتمعات، في قوله: "وسببه أن تكون السجايا والطبائع عن المألُوفَات والعوائد (...)" [١١٠].
- كما أنهما يستعملان بكثرة المنهج المقارن في الوصف والتَأريخ؛ لتقريب صورة الشيء للقارئ، أو للتحليل وشرح الأَحداث في سياقها التاريخي واختلافها عن بعضها البعض، فهما يخاطبان مجتمعيَن مختلفين. حيث يلاحظ علي الوزّان أَنه يقارن ما شاهده في إيطاليا بما اعتاد عليه بفاس، وهذا لا يختلف عند مارمول كاربخال عندما قارن عوائد ومعتَقدات (أهالي) فاس ومراكش فيما بينها، أو بما هو موجود في إسبانيا مثلاً، وكل ذلك وفقًا للقاعدة والنظرية الآتية : "(...) الأَفكار والمناهج تتصل بالبِيئة والإنسان ــ الرحالة ــ... والكشف عن الجوانب المنهجية المشتركة بين الرحالَة "[١١١]، يعني أن الأفكار السائدة في تلك الفترة كان لها نصيب في منهج كل من الرحالتين، والّتي ستكون مصاحبة لهما في كل زاوية من زوايا التأليف. فمن هذا المنطلق يستقرأُ أن الوزّان فَرضت عليه بيئته الجديدة المقارنة ليصل إلى ضرورة إيصال المعلومة بأكثر سلاسة ويسر إلى القارئ الأوربي ونظيره في شمال إفريقيا وفي العالم العربي الإسلامي[١١٢]، وهذا ما لا يختلف عند مارمول كاربخال كونه يقارن لِإيجاد صيغة تمكنه من التأثيرِ على المجتمعين، الأوربي والإسلامي؛ فتكون بذلك المقارنة سبيل لفهم الطرفين وإيصال الفكرة للمستقبل بكل خلفياتها.
- الزمان والمكان عند الرحالتين واضح؛ كونهما عملا على التحليل التّاريخي والجغرافي، فكان للسياق المكاني والزماني وزن كبير في الرحلتين؛ إذ يكشف عن العلاقة بين الإنسان وزمانه ومكانه لتظهر الفكرة أكثر وضوحًا، وأكثر ارتباطًا بمضمونها وعوامل صناعتها؛ موظفين الهاجس الزماني والمكاني، مبيِنِين آثاره وتداعياته ـ نتائجه على المدى القريب والبعِيد ـ، وهذا ما أورده "الحسين عمَاري"، حيث كتب يقول: " (...) كما أَنه يقدم لَنا ـ أي الحسن الوزَّان ـ فكرة عن ارتباط بَعض الأَنشطة الاقتصادية المغربية بالتجارة الصحراوية، وكيف هذه الأَخيرة شكلت خلال القَرن ١٠هـ/ ١٦م، المورد الرئيس لمداخيل شيوخ القُصُور بالجنوب المغربي (...)" [١١٣]. وهذا ما اعتمد عليه مارمول كاربخال كذلك في تحليل ووصف بعض الأنشطة التجارِية بين البرتغال وسكان آسفي[١١٤]، حيث وظف المكان والزمان والظروف الّتي صنعت تلك العلاقة بين الطرفين وتداعياتها على النشاط الاقتصَادي فيما بعد، من خلال الهاجس الزمني ــ فَترَة سيطَرة البرتغاليين على المنطقَة ــ والهاجس المكاني ــ قرب آسفي من مراكز البرتغاليين، وتحالُف معظَم التجار المحليين بهذه المراكز التجارية ـ .فهنا تكمن القيمة العلمية لكل منهما، كونهما قاما بتحليل الحوادث وفق المعاييرِ المنهجية المقربة للحدث الجغرافي والتاريخي؛ تأسيسًا على القاعدة التالية: " (...) لأَن تلك الأَحداث الواقعةُ (...) لا يبررها غير ظُروفها الّتي وقَعت فِيها (...)" [١١٥]، فاتحين بذلك هاجس آخَر لا يهدد فقط سكان آسفي؛ ولكن حتى السلطة المركزية، بخسارتها مورد مهم لصالح البرتغاليين؛ فهو قياس قد نجح فيه الوزَّان ولويس دل مارمول.
- هذا، ويظهر عليهما أنهما قد خضعا بدرجةٍ كبيرة لعاطفتيهما في تقييد تواريخ الأَحداث، فالوزَّان يضع التواريخ الهجرِية وينسب كل حدث تاريخي في الإسلام لنفسِه[١١٦]، وهذا ما يبدو أيضًا على مارمول كاربخال؛ فهي غريزةٌ تظهر عند الرجلين بعدما تكون كامنة في لحظة من اللحظات، وهو المعروف عند علماء الاجتماع النفسي بـ: "الغريزة المؤَقتة"[١١٧].

ولا يخفى على أحد أن كل شخصٍ تختلف آراؤه، وتوجهاته، وميولاته، باختلاف زاوية الرؤية، وكذلك الشأن في الأَحداث والوقائع، وهو يدركها ويفسرها ويحكم عليها كما يراها[١١٨]. ومن هذا المنطلق، اختلفت طبيعة الرِّحلة بين الوزَّان ومارمول كاربخال، فاختلفت مضامينها وكيفية سرد كل واحدٍ منهما لما

شاهده، فأخضع فكره ـ أَو العَكس ـ لتقلبات العصر، وتأثيراته من منطلق التراكمية التاريخية الموجهة لطبيعة الإنسان ـ كما سبق ذكره ـ فكان الاختلاف في الآتي:

- أن لويس دل مارمول ابتعد عن الموضوعية في مقارنته أو مقاربته فيما شاهده فِي إفريقيا ونظيرتها أوربا؛ حيث أصدر أحكامًا متسرعةً، عندما وصف مثلاً بيوت البغاء وكيفية تَعامل السلاطين الشرفاء معها ـ كما سيأتي توضيحه في دراسة الأُسلوب ـ وانطلاقًا من قاعدة: «(...) نجد من يدم غيره (...)، بذكر مساوئه بغض النظر عن محاسنه؛ فَإن ذَلك يرجع في العادة للبغضاء والحسد، أَو إلى الظنون والخلفيات، أَو إلى التنافُس المدموم (...)» [١١٩]؛ فهو كثيرًا ما يصدر أحكامًا تبين للقارئ الشحناء في ذاتية المؤلّف. أما الوزَّان وباعتباره واسع الثقافة، مصيب ـ نِسبِيا ـ وحذر في إصدار أحكامه؛ جاءت كتابته التأريخِية قريبة نوعًا ما من الموضوعية؛ فلم يحاول هدم الآخر بقدر محاولته التوفيق بين الأُمتين؛ كون الدافعية في التأليف ومقر عصرِ الأنوار، أملى عليه التجرد من هذه الحساسيات، فكان منهجه كتابة تاريخٍ بعيد عن السلطة الذاتية، موجه للبابا الذي أراده أكثر دقة، وبعيدًا عن المغالطات، فتَكون دراسة الآخر أَكثر وضوحًا، على ما جاء في قاعدة الاستشراق الآتية: « (...) لتكون الجغرافيةُ كوسيلةٍ لتحقيق الطموحات القومية، والسيطرة على مقَدرات الآخرين (...)»[١٢٠].
- كانت أمانة الحسن الوزَّان العلمية حاضرة في التأليف، كونه أَشار إلى العديد من المصادرِ الّتي نقل عنها[١٢١]، فكانت بذلك معلوماته تتصف بالدقة العلمية، عكس مارمول كاربخال الّذي لا يصرِّح ولا يذكر مصادره، وحتي ولو ذكرها، فبطريقة التصحيف والتحرِيف، حيث ذكر الوزَّان وهو يوثق له على ما يبدو باسم "عبد الملِك" مثلاً، وهي ميزة الاستشراق في العصور الوسطى وحتى الحديثة؛ تَأسِيساً على القَول الآتِي: « (...) كانت فيهم أَخطاء متمثلةً في التصحيف والتحريف (..)» [١٢٢]. فوصفه لا يخرج عن ميزة الأوربي الميال بطبيعته أن أوربا هي محور العالم[١٢٣]؛ وهو ما يؤكد تسلط ذاتيته في امتلاك الآخر، واخضاعه للفكرة الّتي يتقبلها حسب أهواءه[١٢٤].
- بالإضافة إلى أن الوزَّان يستعمل في تحليلِه الأرقام والموزونات [المنهج الإحصائي " Statistic Methode "] كونه كان موظفا في هذا المجال؛ فقد مارس الضبط والتقييد، والبحث عن عدد السكان وتقدير المكوس ـ الضرائب ـ[١٢٥]، ما جعل منهجه في الوصف يتصف بالدقة في حساب الأرقام الخاصة بالدواوين وإظهار الكمية فِي الوصف[١٢٦]؛ إذ هو لم يتعود كتابة "تقريب أو نحو" عند كتابة الرَّسميات الّتي كان مطوقًا بها، بل تعود كتابة ـ ضَبط ـ "وعددهم كذا"، "وقيمته كذا"[١٢٧]، فكل ذلك انعكس على تأليفه. فبإدخاله للمنهج الإحصائي هذا في معالجة الحوادث؛ يكون بذلك قد ثمن قيمة الكتاب العلمية[١٢٨]، خاصة فيما يتعلق بمملكة فاس؛ حيث تعتَبر الطريقة المثلى لتوضيح العلاقات البشرية في الظواهر الاجتماعية، وهو الّذي أصبح اليوم علما قائما بذاته وبمناهجه الخاصة، والمعروف في الأوساط الاقتصادية بالطرق الكمية في تحليل البيانات والأرقام وعلاقاتها بالموارد البشرية " Methode Quantitative". أما مارمول كاربخال فيتبين من تحليلِه غير ذلك؛ فهو مرتبط أكثر بالميدان العسكري[١٢٩] ـ في ترتِيبات الجند، والخطط المتبعة ـ، علمًا أَن حتى الوزَّان عالج بالتحليل الميدان العسكري؛ لكنه وازن بين المضمون، عكس مارمول كاربخال الّذي كانت تحاليله منصبة نحو زاوية واحدةٍ متخذا إياها القاعدة المحورية.
- كما يظهر فرق آخر بين الرحالتين، وذلك من حيث طريقة النقد وابداء الرأي، فالوزَّان يعطي رأيه مثلاً حول الطرق الصوفية الدجاجلة، مبينًا انعكاس تلك الظاهرة على المجتمع الإسلامي، عارفًا بنتائجه السلبية العميقة[١٣٠]، كونه عايش فترة الانحطاط والانغلاق على النفس خلال القرن ١٠هـ/١٦م، بعُدوة المغرب العربي، والّتي برزت فيها تحكم الطرق الصوفية والمتشبهين بالعلماء على زمام المجتمع. فتجربته الميدانية من جهة وتعليمه الديني الصحيح من جهة أخرى؛ أعطى له تراكمية تاريخية فلسفية صحيحة " Historicisme "، جعلته يكتسب خبرة في إصدار حكمه على هذه الجماعة وهو يؤَرخ لها. خلافاً لمارمول كاربخال الّذي ذكر هذه الجماعة ومواقعهَا، وعلاقاتها بالمجتمع، غير أنه لم يتمكن من فك الشفرة بين ما هو "صوفي دجال" وما هو متشبه بهم، وبين ما هو "عالم صوفي حقيقي"، ومرد ذلك على ما يتبين من سياق التأليف أنه لا يعرف فلسفة الطرق الصوفية ودرجاتها؛ باعتباره غريب عن المغرِب العربي، أو غير متطلع على فلسفة هذه الطرق الصوفية.
- أبو علي الحسن بن محمد الوزَّان الّذي يقدم فرضيات وأسئلة بغية الوصول للنتائج، موفقًا بين العنصر الذاتي في الرِّحلة ـ نفسه ـ ومصدر ملاحظاته وعنه تصدر الآراء؛ فيكون بذلك

يستقرأ الأحداث على أسس علمية مبعدا ذاتيته، مقيدًا إياها، فاسحًا المجال للتحليل في افتكاك الحقيقة النسبية، أو بفتح آفاق المناقشة، عكس مارمول كاربخال، الّذي حتى ولو أنه أظهر بعض الاستقراء في مشاهداته؛ إلا أن الخيال أثر على ما يحيكه، أو يوجهه كما سبق ذكره سابقا؛ فيكون بذلك وحيد التفكير. لأن الوصف الواقعي يحتاج لشروط ذهنية ونفسية تتظافر كلها وتتعاون في الجهود؛ كون الحواس قد تخطأ وقد تصيب في وظيفتها، وأن الحالة النفسية قد تؤثر في الحالة الذهنِية الطارئة على الفرد، فتحركه من حيث لا يشعر[١٣١] .

٢/٣-مِن حيث الأُسلوب المتبع في الوصف والتأريخ

على ما يبدو أن أسلوب التشويق قد استعمل بكثرةٍ من قبل الرحالتين؛ وذلك للتأثير على القارئ أو لملىء الوعاء المعلوماتي الوصفي؛ كون الرحالة في كثير من الأحيان يعمل على سد الفراغ ببعض الوصف المشوق؛ إذ أن هذا الأسلوب يوظف أساسًا لجذب القارئ واقحامه في حقل السياق التاريخي والجغرافي، فيبرز ذلك من خلال ما قام به الوزّان، وبأسلوب قصصي شيِق في الوصف والتأريخ للكيفية الّتي دخل بها الوطاسيين مدينة **"تفزه"**[١٣٢]، وقد عمل مارمول كاربخال على الأسلوب نفسه في كثير من مواضع الوصف والتأريخ.

كما أنهما يستعملان أسلوب التخويف في نقل الخبر، بسبب ما تأثرا به كلاهما في رحلاتهما الميدانية من خلال ما لقوه من صعوبات في الرحلة والاستكشاف؛ فبطبيعة لا أمن في ظرفية تاريخية اتسمت بالفوضى السياسية خلال القرن ١٠هـ/١٦م، انعكس كل ذلك على الأوضاع الاجتماعية؛ في ظهور قُطاع الطُرق في مختلف المسالك[١٣٣]، حيث قدم الوزّان في هذا الصدد وصف كامل لما كان يعانيه مثلا جنوب المغرب الأقصى والسواحل الأطلسية من تسلط الأعراب، وكثرة قطاع الطرق، ويشير في هذا الجانب إلى أحد قصور "مطغرة" على "واد زيز"[١٣٤]، بقوله:«(...) كان يقيم فيها أَمير الدائرة، وهو عربيٌ، وله فَخد من قَبيلة (...)، لا يستطيع أَحد أَن يخترق اقليمه دون اذنه الصريح، فَإذا لقي هؤلاء الجنود قَافلةٌ بدون رخصة نهبوها فَورا وجردوا التجار وَالرائدين من ممتلكاتهم (...)» [١٣٥]. إذ هذا ما ذهب إليه كذلك مارمول كاربخال، بقوله: «(...) لكنهم شرسونَ يعيشون بدون رادع (...)» [١٣٦]. فهنا يستنتج أنه يمزج بين أُسلوب التخويف هذا، والسببية بغية الوصول لنتيجة معينة، وهنا يظهر لنا "المنهج"؛ فتصبح طريقته في الكتابة التاريخية مُمَنهجة، أي أصبح لدور الأسلوب تأثير كبير على نمطية التحليل.

كما أَنهما يستعملان أسلوبًا بسيطًا خال من التعقيدات الأدبية، ما يفتح التواصل مع أي قارئٍ في فهم الأحداث والوقائع، ما يعطي لهما ميزة في التعامل مع المستقبل؛ إذ يعتبر كتثمين لرحلتيهما، وهذا ما يرتبط بالقاعدة التالية: «(...) أن يعرف عن الأسلوب قدرًا يسمح للكتابة أن تكون أداة سهلة طيعة توصل إلى حقائق الأشياء التي يتحدث عنها، لا أن تكون عقبة في سبيل الوصول إليها (...)» [١٣٧].

ويختلف كل من الوزَّان ومارمول كاربخال في توظيفيهما لأسلوب اليقين في نقل الخبر؛ وذلك أن الوزَّان يستعمله على أساس المشاهدة، والمعاينة الميدانية، والمعايشة...، وإخضاع الفكرة للمقاربة المصدرية ـ القياس العلمي ـ، بصفته موظف عند السلطان بالمغرب الأقصى في جمع الضرائب من القبائل. وبحكم وظائفه هذه فقد كان مقربًا من القصر الوطاسي، مما فتح له المجال في أن يعرف كل صغيرة وكبيرة عن الحياة اليومية للسكان سواء في المغرب الأقصى ـ أم في شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء ككل. عكس مارمول كاربخال الذي جانب الصواب في غير واحدة من تعليلاته، وتحليلاته، واستشهاداته التاريخية، ومثل ذلك أنه جزم أن من بنى "مراكش" هوَ بن يوسف بن تاشفين، والمعلوم أَن من بَنى مراكش هو يوسف بن تاشفين وليس ابنه[١٣٨]، ولو قارب بين المصادر المحلية لتبينت له الصورة جيدًا.

كما يتبين أيضًا من الملاحظة والاستنتاج؛ أن هناك اختلاف آخر بينهما في توظيف "الأُسلوب الرياضي"، وسبب ذلك على ما يظهر؛ أن التكوين الشخصي له تأثير على الرجلين، فالوزَّان كما سبقت الإشارة إليه، قد درس على يد شيوخ القروِيين، الّذين كانوا يعتبرون رواد علم الحساب والطّب في كامل أنحاء المغرِب الأَقصى الحديث، فيلاحظ عليه تمكنه من الطّب وصنعته، ناهيك أنه قد ألف معجمًا باللغة العبرية في الطّب[١٣٩]، وهذا ما يؤكد الحجة ويدعمها. عكس مارمول كاربخال ـ فباستثناء ما نقله عن الوزَّان ـ[١٤٠]، لا يلاحظ عليه التدقيق في الأَمراض الّتي كانت تعصف بالسكان أثناء تواجده بالشمال الإفريقي وإفريقيا جنوب الصحراء، عكس الوزَّان الّذي يقدم تفاصيل دقيقة في كيفية انتشار المرض وعوارضه[١٤١].

أما عن أسلوب السخرية، فإن الوزَّان لم يستعمل هذا الأُسلوب، كونه لم يكن مدفوعًا بشحنة من أي طرف من الأطراف، السياسي الديني كان ـ البابا ـ أو الذاتي. خلافاً لمارمول كاربخال الّذي يظهر ذلك عليه بوضوح من خلال استعماله لأسلوب السخرِية في وصفه لسكان شمال إفريقيا

وإفريقيا جنوب الصحراء، ومرد ذلك يعود على ما يظهر لصفة الدافعية في التَأليف، فدافعيَتـه في كشف السكان ليست كدافعِية الوزَّان. والفرق يكمن في دافعية "الكشف الطبائعي" للسكان لدى الوزَّان، بإخضاعه المشاهدة للمناهج العلمية؛ يَكون بذلك دافعه الاطلاع على كل غموضٍ، أو اشباع الرغبات الرِّحلية، باعتبارِه أَلَف الرِّحلة منذ صغرِه، أو استنادا لتربيَتِه الدينية المتَسامحة مع الديانات الأخرى. علما أَنه حتى الدافع الطبائعي في الوصف موجود عند مارمول كاربخال؛ لكن الاختلاف يتضح في هدف الرغبة، ودافعيتها، وتَنوعها. فيكون هدف، ودافعية، وتَنَوع الرغبات المقيَدة بقواعد التأليف وضوابطه عند الحسن الوزَّان ذات فرق جوهري بينه وبين مارمول كاربخال، الّذي كان هدف دافعيته تبيين نقص الطرف الآخر ونقاط ضُعفه.

وبكلمة واحدة؛ أن عبارة "أناس (...) متوحشين" مثلاً، هي موجودةٌ في تأليف الرَّحالتين؛ ولكنَّ الهدف من توظيفها والرَّغبة المؤسّسة للهدف، هي الّتي تولد دافعاً مختلفًا بينهما؛ فتصبح بذلك عبارة "أناس (...) متوحشين" عند الوزَّان لغرض توضيح الطُّورة أَكثر، وتبيان اختلاف السُّكان عن بعضهم البعض، وسبب ذلك التَّوحش الّذي منبعه الطَّبيعة وتأثيرها على البشر، أما مارمول كاربخال فقد وظَّفها للتَّمويه، والتَّضليل، والسُّخرية، كما سبقَت الإشارة ليه.

خَاتِمَةٌ

بعد استنطاقنا لدور رِحلة الأسر في تأصيل فلسفة التاريخ ومقاربات تفكير التفكير التاريخي وآلياته الفلسفية عند مارمول كاربخال والحسن الوزان أنموذجًا. والقراءة الاستنتاجية المتأنية لطريقة الكتابة التاريخية والجغرافية وفلسفتها عند كل من الرحالتين، تمكنا من الوقوف على مجموعة من النتائج، نسجلها بإيجاز في النقاط الآتية:

- كشفت لنا رِحلتي الحسن الوزان ومارمول كاربخال الشيء الكثير عن تفاصيل حياتهما منذ الطفولة حتى غاية وفاتهما، حيث كانت تلك الرِّحلات بمثابة القالب الحياتي لكل رحالة منهما، باعتباره قد خاض من خلالها الشطر الكبير من حياته في البحث عن مبتغاه واشباع فضوله العلمي أم الشخصي.
- أبانت رِحلات الحسن الوزان ومارمول كاربخال عن طبيعة الرِّحلات السفارية، وما ينضوي تحتها من أنماط الرِّحلات الأخرى، باختلاف أهدافها وأنواعها، كالرحلة الاستكشافية ذات الطابع العسكري التي طبعت رِحلة مارمول كاربخال، والرِحلة الحجازية التي صبغت رِحلة الحسن الوزان، وغيرها مِمَّا طبع الرحلتين المذكورتين، مثل الرِّحلة الاثنوغرافية التي ميزت الرِّحالتين كونهما مكثا عند الطرف الآخر محل الاستكشاف أكثر من ثلاث سنوات، وهي قاعدة لأن تتحول الرِّحلة من "رِحلة أدب" إلى "رحلة اثنوغرافية" تبحث في عادات وتقاليد الشعوب، بمفهوم الرِّحلات الاثنوغرافية في دراسة اثنيات الشعوب.
- أظهرت رِحلات الحسن الوزان ومارمول كاربخال عن تفاصيل مهمة فيما يخص ملابسات تأليف كل واحد منهما لتأليفه "الرِّحلة"، حيث وقفنا على أمر هام يتعلق بالسرقة العلمية التي أوقع فيها مارمول كاربخال نفسه لما نهج في تأليفه "إفريقيا" حذو النعل بالنعل فيما كان الحسن الوزان قد سطره بالمشاهدة المباشرة وغير المباشرة لكتابه الرحلة "وصف إفريقيا"، وهو ما رجحناه بالاستنتاج والمقاربات التاريخية، وقرائنها الفلسفية، في كون مارمول كاربخال قد وقع في يده تأليف الوزان الأصلي في إيطاليا لما سافر إليها في المدة الممتدة بين الأسر الأول والثاني في شمال إفريقيا، فقام بإعادة كتابة محتوى وصف إفريقيا وزاد عليه ما شاهده وعايشه خلال السنوات التي قضاها أسيرًا للمرة الثانية عند صالح رايس بإيالة الجزائر، لتصبح رِحلته هذه، مكملة لرحلة الحسن الوزان في الزمان والمكان المتعلق بخمسينيات القرن ١٠هـ/١٦م، إلى غاية السبعينيات منه.
- ثَمَّنت رحلة مارمول كاربخال رِحلة الحسن الوزان حتى ولو هي في الأصل في شكل سرقة علمية إلا أنها احتوت مادة معرفية لم يتطرق لها الوزان.
- أحالت سطور الرِّحلة لكل من الحسن الوزان ومارمول كاربخال عن مختلف المناهج والأساليب المعتمدة في استريوغرافية القرن ١٠هـ/١٦م، التي كانت مؤسسة بطبيعة الحال على تاريخانية وجغرافية العصور الوسطى في وصف المدن، والمناطق، والدول، والأقاليم، ومجمل معتقدات السكان وطبيعتهم المعاشية والجغرافية...
- قدمت لنا رِحلتا الحسن الوزان ومارمول كاربخال العديد من فلسفات العصر "عصر النهضة في أوربا" حول ما يتعلق بطريقة الكتابة، وفلسفتها المنهجية والأسلوبية والنقدية لصورولوجيا الواقع المَعِيش الذي عاشه هذان الرحالتين في أوربا أو في شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء، لما ضمنا في طيات رِحلتيهما ملامح الإستريوغرافية السائدة آنذاك، والتي أسَّس لها حَصريًا ولأول مرة الحسن الوزان في قالب رِحلي فريد من نوعه، نهج على اثره مارمول كاربخال في كتابه "إفريقيا" بالاقتباس المباشر للمادة المعرفية وحتى المنهجية، حتى غدت الرحلتين وإلى اليوم محط تفسيرات تاريخية وجغرافية من قبل المتخصصين والملاحظين كونها انفردت بخصائص تاريخانية فلسفية نادرة إبان القرن المذكور.

الاحالات المرجعية:

(١) طحطح خالد، **الكتابة التاريخية**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٢، ص: ١٥.
(٢) نفسه، ص: ٥.
(٣) نفسه، ص: ١٣.
(٤) نفسه، ص: ١٥.
(٥) نفسه، ص: ١٤.
(٦) نفسه، ص: ١٤.
(٧) نفسه، ص: ١٦.
(٨) نفسه، ص: ١٧.
(٩) مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد: ١٨٠، أكتوبر ٢٠١٨م، ص: ١٦٣.
(١٠) نفسه، ص: ١٦٤.
(١١) طحطح خالد، **مرجع سابق**، ص: ١٣.
(١٢) بوصيغع سامية، "**أهمية الرحلات في الكتابات التاريخية**"، مجلة تاريخ العلوم، مجلة علمية متخصصة في تاريخ العلوم والدراسات والأبحاث الإيبستمولوجية، مجلد: 0 و٣، العدد: ١٣، جوان: ٢٠٢٠، ص: ٨٥.
(١٣) **لويس "Luis"**: جاء في الموسوعة العربية العالمية انّ اسم لويس يعني عند الأوربيين عامة بِـ **"المحارب الشّهير"**، أي البطل الّذي لا يقهر، وهو اسم ثقيل في المعنى؛ حيث تَسمّى بهذا الاسم معظم الملوك الفرنسيين، فلإسم ذا شهرةٍ كبيرة في فرنسا خاصَّة وأُوربا عامَّة. ينظر: (موسوعة)، ١٩٩٦م)، **الموسوعة العربية العالمية**، (ج٢١)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ص ٢٣٣.
(١٤) **دل**: مثل **"el" و"de"** في اللُّغة الفرنسية، وادراجها من باب الادغام والافتخار لا غير. ينظر:
Corriente (F), 1970, **Diccionario Español Arabe, Instituto Hispano _ Arabe De Cultura**, Madrid, P. 140
(١٥) **مارمول "Marmol"**: يعني اسم مارمول بالإسبانيّة **"معدن المرمر، أي الرخام"**. ينظر:
ibid, P. 302.
(١٦) **كاربخال :«Carvajal»** اسم إسباني الأَصل مأخوذ من اسم خشب شجرة البلوط، وينطق الاسم باللُّغة الفرنسية **"كارفجال"**. وهوَ اللقب الثّاني للويس دل مارمول. ينظر الرَّابِطين الإلكترونيين التَّاليين :

<es.thefreedictionary.com/carvajal>

https://definiciona.com/carvajal>
(١٧) رامبولا ماري لين، **دليل الكتابة التاريخية**، ترجمة: آل سعود تركي بن فهد، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٩م، ص: ٨٧.
(١٨) نفسه، ص: ٨٧.
(١٩) نفسه، ص: ٨٧.
(٢٠) نفسه، ص: ٨٧.
(٢١) على الرابط:
<http://**www.publius-historicus.com**/leonafri.htm >
روجع يوم : ٠٦ ـ ١٢ ـ ٢٠١٦ / في الساعة: ٥٦ : ١٦

(22) Dolores (R), **«La Influencia De León El Africano (Ss. XV-XVI) En La Obra De Luis Del Mármol (S. XVI): Descripción De Los Núcleos De Población Costeros Del Rif»**, En El Epílogo Del Islam Andalusí, P . P: 359 ـ 396 .
(23) Puglisi (A), OP, CIT, P: 145 .
(24) (Revue), Eastern Report Art, **«Leo The Africain A In His Time»**, Vol 1 , 1 10 _ June, 1989, P: 19 .
(25) Pekka (M), **«Leo Africanus : The Man With Many Names»**, Annales Academiæ Scientiarum Fennicæ, Humaniora, November 2001 .P.P. 157 ـ 167.
(٢٦) أحمد مهدي زرق الله، **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الإسلام وآثارها الحضارية**، مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٨، ص: ٢٠ ـ ٢١.
(٢٧) **العدوة**: مصطلح يقصد به في اللغة المكان المرتفع، وهو مصطلح يطلق على ضفتي كل مجال يفصله مجرى مائي، فوجدت العدوة المغربية الّتي يقصد بها تونس والمغرب والجزائر والعدوة الأندلسية لما يفصل بينهما من ماء البحر الأبيض المتوسط. ينظر حول الموضوع: المعلمة، (١٩٨٩م)، **قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى**، (ج١٨)، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ص ٦٠٠٦.
(٢٨) وثائقي بعنوان: "على خطي ليون الإفريقي"، مرجع سابق.
(29) Thomas (D) , Chesworth (J) , **Christian - Muslim Relations . A Bibliographical History , Western Europe (1500-1600)** ,Vol 6 , Leiden , Boston , 2014 . P . P. 283 ٢٩٣ ـ .
(30) Javier (C), **La Historiografia Espanola Del Siglo Xvl , Luis Del Marmol Carvajal Y Su Historia Del Robelion Y Castigo De Los Moriscos Del Rieno De Granada**, (Memoria Presentada Para La Obtencion Del Titulo De Doctor), Universided De Granada, 2014, P. P:193٢٣٤ ـ
(٣١) **بيدرو دل مارمول (١٤٩٩م ـ ١٥٨٢م)** : هو إبن لورينزو دل مارمول، ووالد لويس دل مارمول كاربخال، ولد بمدريد سنة **١٤٩٩م**، وهو الابن الأَصغر من ضمن أربعة أولاد للورينزو دل مارمول، والّذي كان يشتَغل منصب الكاتب الشرعيُّ في غرفة التَّصوير الخاصة بالقصر الإسباني. تزوج بيدرو دل مارمول من مارية فازكيز سنة **١٥٦٧م** بغرناطة، فأنجبت له خوان فازكيز ولورينزو الّذي تزوج من خوانا دل كاستيلو، ثمَّ تزَوَّج بيدرو من ازابيلا زاباطا سنة **١٥٧٦م** بغرناطة، الّتي أنجبت له أربعة أَطفال وهم ديغو، خوانا، هيرناندو، فازكيز، وَالّذين بدورهم أنجبوا أطفالا، أَما عن والدة لويس دل مارمول كاربخال، فقد ولد بطريقة غَيرُ شَرعية من أم مجهولة. لتفاصيل أكثر ينظر:
ibid, P. P: 69.٨٤ ـ
(32) ibid, P . P: 193 ـ 234.
(٣٣) **فيليب الثاني (ت١٥٩٨م)**: ملك نابولي وصقلية **(١٥٠٤-١٥٩٨)**، وانكلترا القرين (كزوج لماري الأولى) بين عامي **(١٥٥٤م – ١٥٥٨م)**، وحاكم المقاطعات السبعة عشر (حاصلا على مختلف ألقاب تلك الأراضي، مثل الدوق أو الكونت) من **(١٥٥٦م حتّى ١٥٨١م)**، ملك البرتغال والغرب (باسم فيليب الأول) من **١٥٨٠م حتى ١٥٩٨م**، وملك تشيلي من **١٥٥٤ حتى ١٥٥٦م**، عمل على

تعزيز مكانة إسبانيا السياسية والعسكرية، وأيد الكاثوليكية بقوة، فساعد ذلك على نشوب الثورة المذهبية في الأراضي الواطئة (هولندا حالياً) **(١٥٦٨م- ١٦٠٩م)**، وإلى دخول الإسبان في حروب ضد العثمانيين ما بين سنتي **١٥٧١م- ١٥٧٨م**، وضد انكلترا من سنة ١٥٨٨م حتى سنة ١٦٠٤م، وبلغت محاكم التفتيش في عهده ذروتها. توفي سنة ١٥٩٨م. ينظر:

Bartolomé (B),)1982(, **Un Siècle D'or Espagnol 1525 ـــ ١٦٤٨**, Edition Robert Laffont, Paris, P.P ٢٥٦ ـــ.

(٣٤) محمد عبده حتاملة، **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد فيلب الثاني ١٥٦٧م ـ ١٥٩٨م**، عمان، الأردن، ١٩٨٢م، ص٩٤.

(٣٥) على الرابط: <http://**annaba-patrimoine.com**/ils-ont-parle-delle/leon-lafricain-1488-1548 >

/

روجع يوم: ٠٦ ـ ١٢ ـ ٢٠١٦ / في الساعة: ١٦ : ٥٦

(36) Pisani (A) , **«Luis del Marmol Carvajal»**, Biblioteca Universitaria Di Genova – Percorsi Tematici, Universalitas & Pervasivitas, P: 12 .

(37) Abdou Rahman (W) , **« Voyageur intrépide »**, Le Monde Afrique, Mis à jour le 21. 05. 2015 à 10h37, Sur L'URL :

< http://**www.Le Monde.fr**/afrique/article/2015/05/20/il-faut-porter-a-l-ecran-leon-africain_4637086_3212.html >

(38) IBID.

(٣٩) على الرابط:

روجع يوم: ٠٦ ـ ١٢ ـ ٢٠١٦ / في الساعة: ١٦ : ٥٦

(٤٠) معلمة المغرب، **مرجع سابق**، ج ٢٢، ص: ٧٥٨٤ ـ ٧٥٨٥ .

(٤١) إسماعيل العربي، **دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ١٩٩٤م، ص . ص: ٢٠٧ ـ ٢١٣ .

(٤٢) **أبو العباس السعدي المعروف بأحمد الأعرج السعدي بن محمد بن محمد الحسني (ت٩٦٥هـ/ ١٥٥٧)**: من مؤسسي الدولة السعدية بالمغرب الأقصى، تولى ولاية العهد سنة **٩١٨هـ/١٥١٠م**، وخلف أباه القائم بأمر الله وبويع سلطانا للمغرب سنة **٩٢٣هـ/١٥١٥م**، وظفر في حروبه مع البرتغاليين بأحواز تيلمست وآسفي وغيرهما، فأطاعته بلاد السوس كلها، وكاتبه أمراء هنتانة من مراكش يدعونه إليها، فدخلها في حدود سنة **٩٣٠هـ/١٥٢٢م**، ولما اتسعت المملكة السعدية في الجنوب، اختلف الأخوان الأعرج ومحمد الشيخ الوزير المستخلف بالسوس، فانفرد هذا الأخير بالملك **٩٤٦هـ/١٥٣٨م**، وزج بأخيه الأعرج في السجن. ينظر: (مجهول)، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتح: عبد الرحيم نيحادة، دار تيمنميل للطباعة والنشر، مراكش، ١٩٩٤، ص ص: ٥٨ ـ ٧٨.

(٤٣) **أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي (ت٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م)**: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان، حكم ما بين **١٥٤٠م و١٥٥٧م**، قضى على الوطاسيين سنة ١٥٥٤م، ويقوم بتوطيد دعائم ملكه وتأمين البلاد من قطاع الطرق على السواحل في خضم حملاته المتعددة على الجنوب والغرب والشرق، كان محمد الشيخ عالما وأديبا وحافظا، قتل من قبل الأتراك العثمانيين سنة **٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م**، ودفن بضريح السعديين. ينظر: مجهول (مجهول)، **المصدر السابق**، ص ص: ٥٨ ـ ٧٨.

(٤٤) وثائقي بعنوان: **"الرحالة الأندلسي الحسن الوزان"**، بثتهُ قناة الجزيرة الوثائقية، مدته الزمنية ٥٠ : ٢٣ : ٠١، حجمه ٢٨٩ Mēga، شريط فيديو على نمط HD، تاريخ التحميل ٢٩ ـ ٠٩ ـ ٢٠١٦م، في الساعة ٠٦ : ٠٢، على الرَّابط:

<https://**www.youtube.com**/watch?v=xSTL3E2GAQQ>

(45) Dietrich (R), **Johannes Leo Der Afrikaner : Seine Beschreibung Des Raumes Zwischen Nil Und Niger Nach Dem Urtext** , Wiesbaden Harrassowitz, 1999, P. P: 60 ـ 83 .

(٤٦) إسماعيل العربي، **مرجع سابق**، ص: ٢٠٧.

(47) (Encyclopaedia), **Encyclopaedia Of Islam**, New Edition, Vol 5, Leiden, 1979 , P . 723 .

(48) Alfred (F), **« Léon L'africain Al-Hasan ibn Mohammad Al-Fa'sī Dit (1483 Env.-Env. 1555) »**, Encyclopédie Universalis, Consulté Le 6 Décembre 2016 . Sur L'URL :

<http://**www.universalis.fr**/encyclopedie/al-hasan-ibn-muhammad-al-fa-sileon-l-africain/>

(٤٩) سعيد حجي، **" الحسن بن محمد الوزان Léon L'africain "**، مجلة المغرب، مجلة تثقيفية وعمرانية وأدبية، العدد ٠١، ١٩٣٥، ص: ١٣.

(٥٠) **صالح ريس (ت ٩٦٣هـ/١٥٥٦م)**: الملقب بأمير البحر، وباي لارباي أيالة الجزائر، أجمع المؤرخون على أن أصل صالح ريس هو عربي من الإسكندرية، تعرف إلى الأتراك حين قدومهم إلى مصر، وانضم إلى البحار عروج وخير الدين بربروسا في رحلاتهم، تعلم فنون الحرب والبحرية في سن مبكرة، من أهم اعماله مساهمته في انقاذ بقايا المسلمين في الأندلس، فمنح لقب بكلربك أو باي لارباي أي أمير الأمراء، وهو لقب يخول لصاحبه أن يُصدر الأوامر إلى باشا تونس وطرابلس والجزائر، لتولى منصب حاكم الجزائر في عام **١٥٥٢م**، فأتم فتح بجاية عام **١٥٥٥م**، من الإسبان، وقضى على التمردات في المغرب الأقصى. ودخل فاس في عام **١٥٥٤م**، توفي صالح رايس مصاباً بالطاعون وقد ناهز السبعين عاما في سنة **٩٦٣هـ/ ١٥٥٦**. ينظر: مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (ج٣)، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص ص: ٧٣ ـ ٨٩.

(٥١) خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربة والمستشرقين**، ج ٢، دار الملايين للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢، ص: ٢١٧.

(52) Javier (C), **La Historiografia Espanola Del Siglo Xvl, Luis Del Marmol Carvajal Y Su Historia Del Robelion Y Castigo De Los Moriscos Del Rieno De Granada** , OP, CIT, P . P : 49 ـ 89.

(٥٣) (موسوعة)، **الموسوعة العربية العالمية**، ج٢٢، ط١، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٦م، ص: ٣١٠ ـ ٣١١ .

(54) Abdelaziz (M) , **"Un Voyageur Entre Deux Mondes, Léon L'Africain De Natalie Zemon Davis"**, Revue Le Matin, Samedi 1 Novembre, 2008 , P :12.

(55) Fernando Rodriguez (M), **«Luis Del Marmol Y El Humanismo Sobre Una Fuente De La Historia De Rébellion Y Castigo De Los Moriscos Del Reyno De Granada»**, Belletin Hispanique, T 105 , N ° 2 , Madrid, 2003, P . P: 371 ـ 404.

(٥٦) محمد فارس، **موسوعة علماء العرب والمسلمين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ١٩٩٣م، ص: ١٨٨.

(57) Dzubinshi (A), OP, CIT , P: 64.

(58) Amin (M), **Léon L'africain**, Jean Claude Lattes , 1986 , P . 296 ـ 363 .

(59) (Encyclopaedia), **Encyclopédie Moderne Dictionnaire Des Homes Et Des Choses Des Sciences , Des Lettres , Des Art Et Avec L'indication Des Ouvrages**, T 2 , édition, Chez Lejeune Libraire Editeur . P: 290 .

(60) Yildirim (C), **«Lexotime De Mallouf Dans Léon L'Africain Le Premier Siècle Apres Beatrice Et Les Echelles Du Levant»**, Assistante De Recherche, Universite Hacettepe Ceylany, Ankara Universitesi Dil Ve Trih Gografya, Fakultesi Degisi, 2005 , P: 381 ـ 397.

(61) Brahim (J), **«Le Maghreb De L'expédition Mérinide Au Périple De Léon l'Africain»** , Cahiers De Recherches Médiévales Et Humanistes, 2011, Mis En Ligne Le 10 Mai 2014, Consulté Le 01 Mars 2017, Sur L'URL : <http://**Crm.Revues.Org**/12421 >

(٦٢) العباس بن إبراهيم السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج٣، راجعه : عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط ، ١٩٩٣م، ص: ١٤٨.

(63) Abdelaziz (M), **op, cit**, P: 12.

(٦٤) على الرابط:

<http://www.maisonneuveadrien.com/description/afrique/jean_leon.htm >

رُوجِعَ يَوم: ٠٦ ـ ١٢ ـ ٢٠١٦/ في السَّاعَة: ٥٦ : ١٦ .

(٦٥) ذكر **"ويد منسطار"** أن الحسن الوزّان قد توفي سنة **١٥٥٤م**، بتونس في عهد آخر الملوك الحفصيين، وهو المصدر الوحيد الّذي أشار لتّاريخ وفاة الوزّان؛ غير أن هذا المصدر غير مؤكد، خاصة أن ويد منسطار قد ترك في كلامه الشّك، بقوله: **"قيل أنّه توفي"**، وهذا ما جعل معظم الموسوعات سواءً كانت عربية أم أجنبية، تعتمد على تاريخ **١٥٥٤م**، كمعلم لوفاته. ينظر: (موسوعة)، **الموسوعة العربية**، المجلد الثامن، ط١، هيئة الموسوعة العربية، المَملَكَة السعودية، ٢٠٠٣م، ص: ٣١٤ ـ ٣١٦.

(٦٦) ـ صلاح الدين الشامي، **الرحلة عين الجغرافية المبصرة**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص: ٨

(٦٧) أحمد احمد رمضان، **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان للطباعة والنشر، جدة، (د ت)، ص. ص: ١٤ ـ ١٧.

(٦٨) ناصر عبد الرزاق الموافي، **الرحلة في الأدب العربي**، مكتبة الوفاء، القاهرة، ١٩٩٥، ص: ٢٦.

(٦٩) هيوغ اتكن، **دراسة التاريخ وعلاقاتها بالعلوم الأخرى**، تر: محمود زايد، دار الملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص: ١٢٥.

(٧٠) محمد بن أحمد بن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص: ١٧٠ .

(71) Arturo (S), **« León El Africano »**, Revista De Claseshistoria Publicación Digital De Historia Y Ciencias Sociales, Nº 313, 15 De Agosto De 2012, P . P: 1 ـ 12 .

(٧٢) محمد بن أحمد بن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص: ١٧١.

(٧٣) محمد عماد الدين إسماعيل، **المنهج العلمي وتفسير السلوك**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٠، ص: ٩٨.

(٧٤) أمين عثمان، **رواد المثالية في الفلسفة الغربية**، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٧، ص: ١٥٣.

(٧٥) شوقي عطا الله الجمل، **"علاقات المغرب بالأقاليم الصحراوية الواقعة جنوبه في ضوء رحلتي بن بطوطة والحسن بن الوزان "**، مجلة المناهل، تُصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافة، الرباط ـ المغرب، العدد ٢، ١٩٧٥، ص: ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٧٦) محمد أمخزون، **منهج دراسة التاريخ الإسلامي**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١، ص: ١١٠.

(٧٧) السيد قطب، **في التاريخ فكرة ومناهج**، دار الشروق، ط٧، ١٩٨٣، ص: ٣٧.

(٧٨) أمين معلوف، **ليون الإفريقي**، تر: عفيف رشيدة، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٠، ص . ص: ٣١١ ـ ٣٧٨ .

(٧٩) الحسين الإدريسي، **" جدل الأنا والآخر في رواية ليون الإفريقي "**، مجلة التسامح، العدد ٢٦، ٢٠٠٩، ص . ص: ٣ـ ١٠.

(٨٠) إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ منذ بداية المرينيين إلى نهاية السعديين**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص . ص: ٢٣٠ ـ ٢٣٤.

(٨١) أنور المرتجي، **مرجع سابق**، ص: ٢.

(82) Sean (N), **Ireland In Crisis. Analyses And Proposed Solutions**, Cambridge Scholars Publishing, 2013, p: 89 ـ 90 .

(٨٣) محمد عماد الدين إسماعيل، **المنهج العلمي وتفسير السلوك**، دار القلم للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٩٨٩، ص: ٩٧.

(٨٤) موسي بن أبي غسان، **مرجع سابق**، ص: ٨.

(٨٥) نفسه، ص: ٩.

(86) Mar Martinez (G), **«El Discurso Africanista Del Renacimiento En La Primera Parte De La Descripción General De África De Luis Del Mármol Carvajal»**, Hispanic Review, virginia commonuzealh , Vol 77, N° 2 , Spring 2009 , P . P: 171 _ 195.

(87) María Luisa (Á), **Manuscritos Árabes Y Fondo Antiguo De La Escuela De Estudios Árabes**, Escuela De Estudios Árabes (CSIC), Granada , 13 Diciembre 2007 - 18 Enero 2008 , P: 51 .

(٨٨) عبد الكريم حسن، **المنهج الموضوعي النظرية والتطبيق**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٠، ص: ١٥٤.

(٨٩) سعيد إدوارد، **تعقيبات علي الإستشراق**، تر: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦، ص: ٤٥.

(٩٠) سعيد إدوارد، **الإستشراق**، مكتبة ديوان العرب، (دت)، ص: ١٦٥.

(٩١) لويس دل مارمول كاربخال، **إفريقيا**، (ج٣)، تر: محمد حجي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة المعارف، الرباط ، ١٩٨٤، ص: ١٥٨.

(٩٢) ناصر عبد الرزاق الموافي، **مرجع سابق**، ص: ٢٨.

(٩٣) سيد أحمد علي الناصري، **فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه**، جامعة القاهرة، ١٩٨٦، ص: ٢٢.

(٩٤) أنور المرتجي، **مرجع سابق**، ص: ٥.

(٩٥) سيد أحمد علي الناصري، **فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه**، جامعة القاهرة، ١٩٨٦، ص: ٣٥.

(٩٦) عبد المنعم ماجد، **" مفهوم التاريخ الإسلامي في العصر الحديث "**، مجلة المؤرخ، تصدرها الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد ٧، ١٩٧٤، ص: ١٢.

(٩٧) أغناتي يوليا نوفيتش كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة: ايفور بايايف، لجنة الأليف للترجمة والنشر لجامعة الدول العربية، (ج١)، لينين قراد، موسكو، ١٩٥٧، ص: ٤٤٦ ـ ٤٥٢.

(98) Naouel Fatima (A,) **op ,cit** , P : ٨٧ .

(٩٩) لويس دل مارمول كاربخال، **مصدر سابق**، ج ١، ص: ٣ .

(١٠٠) لقد تفاوتت درجات الملاحظة والوصف والتقصي في التسجيل عند الرحالة، كما حرص بعضهم على التفرقة بين المشاهدة والرواية؛ إذ أصبحت هذه القواعد فيما بعد أسس لعلم التاريخ، غير أنهم؛ لم يكونوا متدرّبين، أو متخصصين **[الرحالة]**. للمزيد ينظر: محمد فهيم حسين، **أدب الرحلات**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨، ص: ١٥.

(١٠١) كان النمط السائد في القرن العاشر الهجري، هو النمط الّذي غلب عليه توزيع المناطق وفقا للأقاليم، ثم أعقبه ظهور الخارطات البحرية، الّتي كانت تبيّن أحيانا خطوط الطول والعرض، مما يثبت وجود تأثير غربي، وأقدم خارطة بحرية معروفة موجودة بمكتبة الأمبروزيانا " **Ambrosiana** " بميلانو؛ وأن أبعادها مقدرة بالأميال مما ينهض دليلا جديدا على أنّها إيطالية الأصل؛ وفي نفس هذا القرن ازدهر بِتُونس اسم أسرة الشرفي الصفاقسي الّتي قدمت في غضون جيلين عددا من مصوري الخارطات **[فن الكارتوغرافيا]** " **Cartographes** "، ثُمَ اشتَغَلُوا فِيماً بَعد بِدرَاسَة الرِيَاضِيَات وَالفَلَك. لِلمَزِيد يُنظَر : أغناتي يوليا نوفيتش كراتشكوفسكي، ج١، **مرجع سابق**، ص: ٤٥٦.

(١٠٢) نفسه، ص: ٤٥٥.

(١٠٣) سيد أحمد علي الناصري، **مرجع سابق**، ص: ٢٨ .

(104) Lara Laura (M), Maria Lara (M), **«Descripción General De África Y Origen Del Nombre Del Continente Segun Léon El Africano Y Luis Del Marmol Carvajal»**, Archivo De La Frontera, Banco De La Recursos Historicos, Marso 2005, P . P: 1 ـ 18 .

(105) A . Berbrugger, **" Jean Léon L'africain études Biographiques"**, Revue Africaine , Vol 11, Juin 1858, P: 353 .

(١٠٦) محمد فهيم حسين، **مرجع سابق**، ص ص: ٢٨ ـ ٥٠.

(١٠٧) عبد العزيز بنعبد الله، **"فاس حاضرة الفكر في القارة الإفريقية"**، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط ـ المغرب، العدد ١٣، ١٩٧٨م، ص: ١٦٦ ـ ١٨٥.

(١٠٨) سعيد عبد الرحمن، **مرجع سابق**، ص ص: ٨٣ ـ ١٣٢.

(١٠٩) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٣م)، **المقدمة**، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٧، ص: ١٥٨.

(١١٠) محمد فهيم حسين، **مرجع سابق**، ص: ٧٧.

(١١١) الحسين عماري، **"العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان"**، دورية كان التاريخية، العدد ٩، ٢٠١٠، ص: ٣٥ .

(١١٢) لويس دل مارمول كاربخال، **مصدر سابق**، ج ٢، ص: ٧١ ـ ٧٢.

(١١٣) محمد أمحزون، **دراسة التاريخ الإسلامي**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١، ص: ١٠٧.

(١١٤) محمد الحجوي، **حياة الحسن الوزان وآثاره**، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٣٥، ص: ٤٣.

(١١٥) محمد عماد الدين إسماعيل، **مرجع سابق**، ص: ١٠٠ .

(١١٦) السيد قطب، مرجع السابق، ص: ٤٠.

(١١٧) محمد أمحزون، **مرجع سابق**، ص: ٩١.

(١١٨) سلطان جاسم، **أداة فلسفة التاريخ**، (دم)، (دت)، ص: ١٦.

(١١٩) شوقي عطا الله الجمل، **" أضواء على حياة الحسن الوزان ..."**، مرجع سابق، ص: ٢٧٠.

(١٢٠) أبو الفضل بدران، **" الاستشراق الألماني المعاصر "**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد، العدد ٢٢، ١٩٩٨، ص: ٥٢.

(١٢١) السيد قطب، **مرجع سابق**، ص: ٣٩.

(١٢٢) لاشين كمال، **"قراءة نقدية في الاستشراق"**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، العدد ٢٧، ٢٠٠٠، ص: ١١٢.

(١٢٣) محمد الحجوي، **مرجع سابق**، ص: ٤٩.

(١٢٤) نفسه، ص: ١٢.

(١٢٥) نفسه، ص: ٤٩.

(١٢٦) شوقي عطا الله الجمل، **"أضواء على حياة الحسن بن محمد الوزان وإنتاجه الفكري والمؤثرات التي تأثر بها"**، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط ـ المغرب، العدد٢، ١٩٧٥، ص: ٢٦٠.

(127) A . Berbrugger, **op ,cit** , P :359.

(١٢٨) محمد الحجوي، **مرجع سابق**، ص: ٦٣.

(١٢٩) محمد بن أحمد بن شقرون، **مرجع سابق**، ص: ١٧٦.

(١٣٠) لويس دل مارمول كاربخال ، **مصدر سابق**، ج٢، ص: ١١٦.

(١٣١) كريم عبد الكريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية**، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ٢٠٠٦، ص: ١٣ ـ ١٥.

(١٣٢) حسين عماري، **مرجع سابق**، ص: ٣٥.

(١٣٣) أبو علي الحسن بن محمد الوزان، **وصف إفريقيا**، (ج١)، تر: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ص ص: ١٢٢ ـ ١٢٣.

(١٣٤) لويس دل مارمول كاربخال، **مصدر سابق**، ج١، ص: ٨.

(١٣٥) محمد عماد الدين اسماعيل، **مرجع سابق**، ص: ٢٧.

(١٣٦) أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٣م)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج ٦، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠، ص: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(١٣٧) شوقي عطا الله الجمل، " **أضواء على حياة الحسن الوزان ..."**، **مرجع سابق**، ص: ٢٧٣.

(138) A . Berbrugger, **op, cit** , P ٣٤٩ ـ ٣٦٤ .

(١٣٩) شوقي عطا الله الجمل، **" أضواء على حياة الحسن الوزان ..."**، **مرجع سابق**، ص: ٢٦٠.